

الفصل الثامن والعشرون

حدود المرتفعات

كان علينا مراجعة كل شيء قبل أن نبدأ المرحلة التالية من الأحداث. كان عبدالله بن شرقه، الذي رافقنا لبعض الوقت ومعه شرطته، مسؤولاً عن كل الترتيبات وكنت مرتاحاً أن أترك له حرية عمل كل شيء. لم يكن عبدالله فقط كفاءاً، بل كانت له أساليب لطيفة للتعامل مع الناس، كان يمزج الحزم في كل الأمور الجادة مع التسامح تجاه الخطأ الذي يمكن الصفح عنه، لقد كان حقيقة يستطيع العزف على اللحن المناسب في تعامله مع هؤلاء الشيوخ وأتباعهم.

كان من العرف المتبع لدينا أنه يقع على عاتق الشيخ الرئيس لأي مقاطعة يحتمل أن نعبرها في الطريق، أن يقوم بمقابلتنا على الأقل عند حدود أرضه ويظل مرافقاً لنا ما دمنا داخل مملكته. لقد استطعت بهذه الطريقة أن أكتسب معرفة العديد من شيوخ القبائل وأن أقيّم أهميتهم النسبية على المستوى المحلي، ذلك لأنه يجب أن يذكر بأن كل رئيس قبلي يستمتع بمكانته التقليدية وهيئته، إلا أن شخصيته الذاتية ومقدرتها، تعني الكثير في الإطار الديموقراطي. لم أدخل أراضي آل عليل في أي مرحلة من مراحل مسيرتي عبر منطقة بني مالك، ولم يكن من الضروري أن يتفقد جابر، شيخ قبيلة عليلي، تقدم ترحالنا، غير أنه وبدافع إرادته المحضة قد قام بإرسال حفيده أسعد بن حسن ليرفع تحياته إلينا وليقوم بمرافقتنا. لقد رافقنا من جورا، غير أنه لما كانت أراضيّه تقع خارج إطار منطقة فحص الحدود، فقد منحته إذناً رسمياً بالانصراف مع هدية مناسبة لأتباعه ورسالة شكر

لخاله . لقد غادرنا أسعد أثناء الليل بعد أن تناول معنا وجبة العشاء . كنا بالفعل داخل بلاد حبس أو على حدودها في الفقوة . التي كنا قد دخلناها من أرض قبيلة آل سعيد من نَيْد . لقد التحق بنا فرحان بن جبار أم جهيمة ، وهو شيخ قبيلة آل حبس في عشوان ، غير أنه برهن على عدم فائدته لنا ، وطاعن في السن وقد سمحنا له أو شجعناه على الانصراف أثناء الليل ، تاركاً ابنه جبران يشرف علينا ممثلاً له حتى ننتهي من أرض حبس التي - كما ورد من قبل - تندلق فوق تلال ظهران وتمس الحدود على جانبي ضمد . كما غادرنا يحيى الخالدي ، راجعاً عندما وصلنا إلى عشوان على أن يلتحق بنا في وقت لاحق حينما تعود بنا رحلتنا مرة أخرى إلى حدود أرضه على امتداد ضمد ، لقد كان رجلاً طاعناً في السن وجذاباً . وقد ظل في مرافقتنا علي بن فرحان ، وهو شيخ قبيلة آل سعيد حتى قرية الفقوة ، غير أنه لا حاجة لنا به وقد سمح له بالعودة .

لقد انتهينا بذلك من الأقسام الشمالية لبني مالك . ولا يزال الشخص الذي نرغب في لقائه غائباً . كان ذلك الشخص هو رئيس قبيلة آل يحيى ، حتروش بن سلمان ، الذي قد أرسلت إليه رسائل مستعجلة تطلب منه اللحاق بنا دون تأخير ، وذلك لفحص حدود أرضه . لقد كنا في حاجة إلى بعض أتباعه خاصة أولئك الذين عملوا من قبل في وضع أعمدة الحدود ، لم تجد رسائلنا أذنًا صاغية ، ولم يحضر حتروش أو أي شخص آخر من أتباعه لمقابلتنا ، وفي الفقوة يبدو هذا الأمر غريباً وقد احتار عبدالله بن شرقة في تفسيره . ثم انتهى كل شيء على ما يرام ، وذلك بحضور حتروش في الصباح الباكر إلى معسكرنا ومعه حاشيته الكبرى . لقد كان حتروش شخصية لطيفة ومسيطرة ، لقد أدهشنا حضور يحيى الخالدي لمرافقتنا ، ويبدو أنه قد غيّر رأيه ، أو أنهى ما كان يؤديه من عمل كان يشغله ، وقد شجعت

عودته هذه علي بن فرحان على البقاء معنا. كان لدينا بذلك جمعاً منتظماً من القبائل تحت تصرفنا، بينما ازداد حشد الموهوبين المحليين بإضافة متعب بن جابر، شيخ آل تليد وخبير الحدود.

بدأت العمليات لهذا اليوم بحضور كل هؤلاء، بزيارة إلى هضبة منخفضة في سفوح التلال التي تطل على الفقوة (أو فقوة الریم، لإكساب الثقوب المائية اسمها كاملاً) وذلك بغرض مسح أولي للمنطقة التي سنكتشفها.

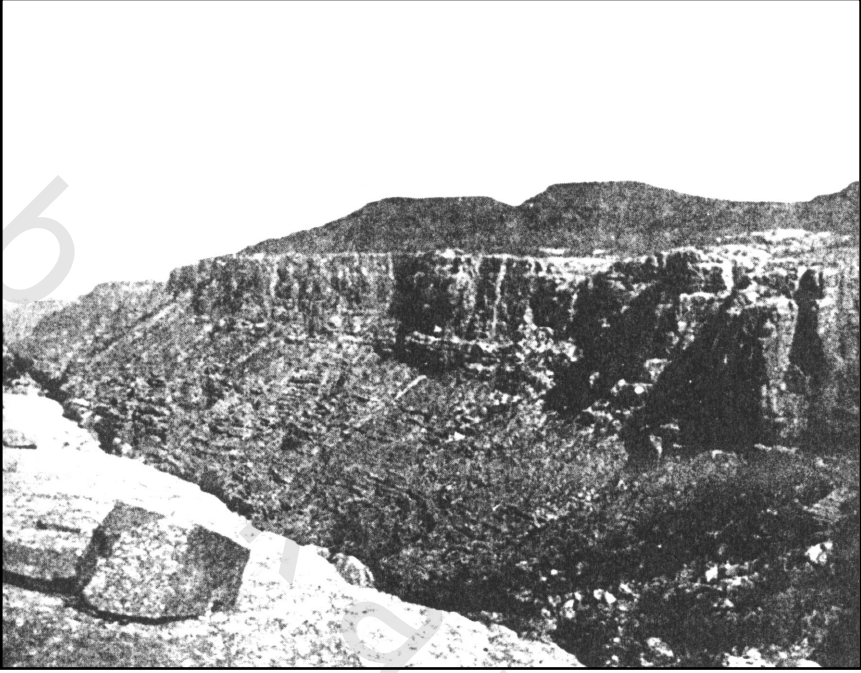
يتاخم وادي دفا، الذي ينحني ناحية الغرب أعلى الفقوة، ومن على جانبه الأيسر، شريط من تلال سفحية تفصله عن رأس ضمد، ويبلغ عرضه ميلاً واحداً مع انحدار ٢٠٠ قدم إلى المجرى، ويقيده من جانبه الأيمن ذلك الجلمود الذي يرتفع إلى ٤٠٠ قدم من سلسلة تفصله عن قدم ظهران الفعلية. وتطل بقايا أبراج قرية الحسي القديمة على الجانب الأيسر من عرن منخفض ينساب من إحدى قمم قلعة التابعة لأراضي التلال السفحية، وتقع نيد إلى جنوب غرب موقعنا وتكون نيد إلى ناحية الجنوب الغربي أيضاً، بينما يقع وادي عرب داخل مسيله ناحية الشمال الغربي.

لقد شمشخ هرم حجيدة العظيم، إلى أسفل مع اتجاه الوادي، وعلى الجانب الأيسر في مقابل العرنات الشمالية لظهران يسمى (سريمانو) ربما يقصد بها سليمان بلهجة تليد)، ومعه السفوح الشديدة الانحدار لبني مالك، التي يصعب تحديدها منفردة من موقع المشاهدة هذا من ناحية اليسار. لقد تكونت في اتجاه أعلى الوادي انحناء الوادي، بواسطة سلسلة عارف الطويلة، وعقدة القمم السفلى للقهرى، وقد التفت عن المنحنى الفعلي. وليست هنالك أي إضافات تفصيلية مهمة، ولذا

فقد هبطنا إلى المعسكر لتناول إفطاراً دسماً من اللحوم قبل أن نبدأ العمليات التالية قليلاً بعد الساعة التاسعة صباحاً.

لقد وصلنا إلى الحدود بعد أن سرنا على الأقدام مدة عشرين دقيقة فوق مجرى مياه الغيل المتقطعة والراكدة فوق بطن المجرى الحصوي، والتي تعبر وادي دفا في خط شرق - غرب، قليلاً أسفل انحناءاته العظيمة. لقد كانت الحدود الرسمية على الجانب الأيمن تتكون من كتلة صخرة تسمى الرصيفي وارتفاعها ثمانون قدماً وتطل على مسيل رافد على جانبها البعيد، برغم أنه لم تكن هنالك حاجة لوضع عمود حدودي فوق جسم بارز كهذا. ويقف عمود قمع معروب على الجانب الآخر للمجرى، عند مستوى الوادي لتحديد الموقع الذي عنده يجري ذلك الخط داخل السفوح التلية ليصل إلى العمود الحدودي التالي على واحد من قمم القلحة وفي مركزها. ويجب أن نذكر أنه عندما كنا في عقبة علب، كنا قد اكتفينا بإطلالة من بعيد لما لا يقل عن نصف ستة من الأعمدة الحدودية، مثبتة فوق مجرى الجُوة إلى موقع التقائه مع شعيب موتان ليكون رأس وادي دفا (أو وادي الريث كما يسمى أحياناً). لقد كان آخر هذه الأعمدة الذي استطعت أن أراها في ذلك الوقت هو الحُمر، ويقع في مضيق يعترض العرن الجنوبي لكتلة ظهران، في موقع انحداره إلى مجرى دفا من فوق منحناه.

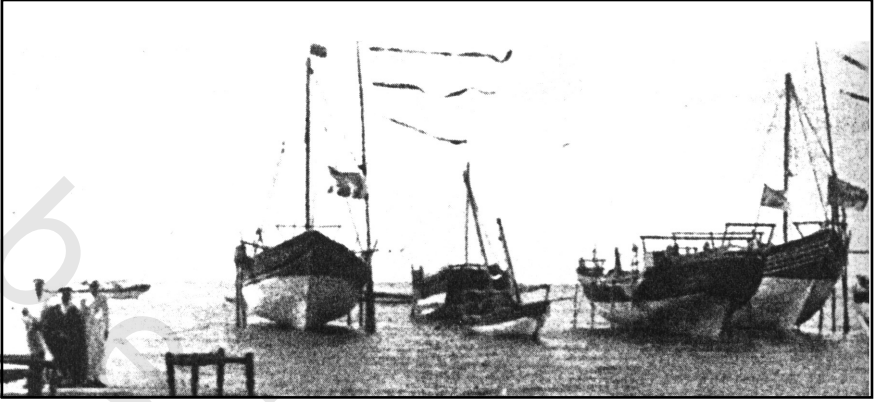
كان أحد مرشدي من منطقة بني مالك، والآخر من آل تليد يجعلان الاسم حمرة للأسف، وأخبراني أن العمود الحدودي التالي، والذي يقع إلى شرق رصيفي هو نيد جنزة، داخل ممر يقود عبر العرن الخارجي لظهران. لقد استطعت في وقت لاحق أن أرى الموقع من أرض مرتفعة ولأقنع نفسي بأن كلا الاسمين يستخدمان من وجهتي نظر مختلفتين للعمود نفسه.



النظر من على جبل في اتجاه الشمال على امتداد عقبة العلب



ظهران : دائرة حجرية في اتجاه الشمال الشرقي



جيزان : مراكب الرحو في الميناء مزينة بمناسبة العيد



عشة في حسينية



فيفاء : قرية أم نقل ورجال القبيلة يغنون



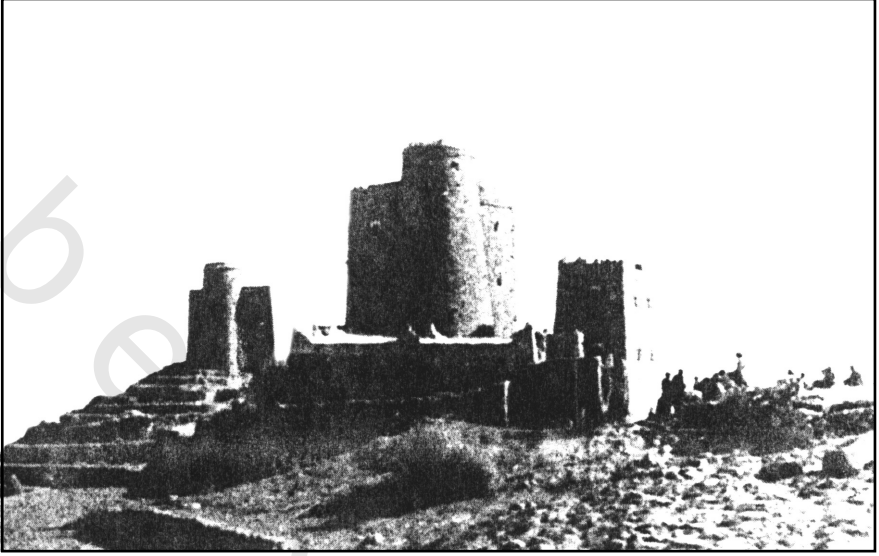
فيفاء : حصون فوق مرتفعات القمة الرئيسية، ويلاحظ منزل الشيخ جابر إلى أقصى اليسار



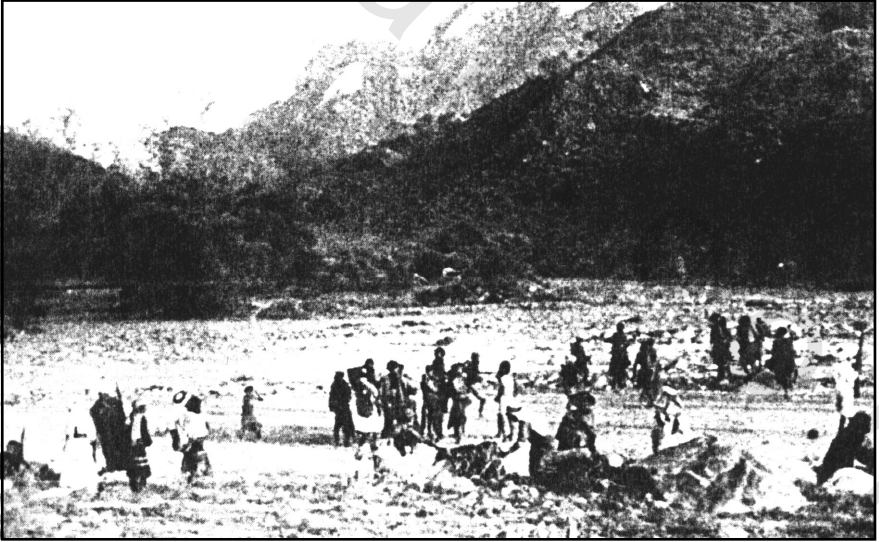
فيفاء: جيش قبلي في الجبل



فيفاء: رجال قبائل يسرون في صفين



فيفاء : حصن ومسجد شيخ علي في مروا



وادي جورا ورجال قبيلة بني مالك



يحيى أم شريف من بني مالك في معسكر جورا



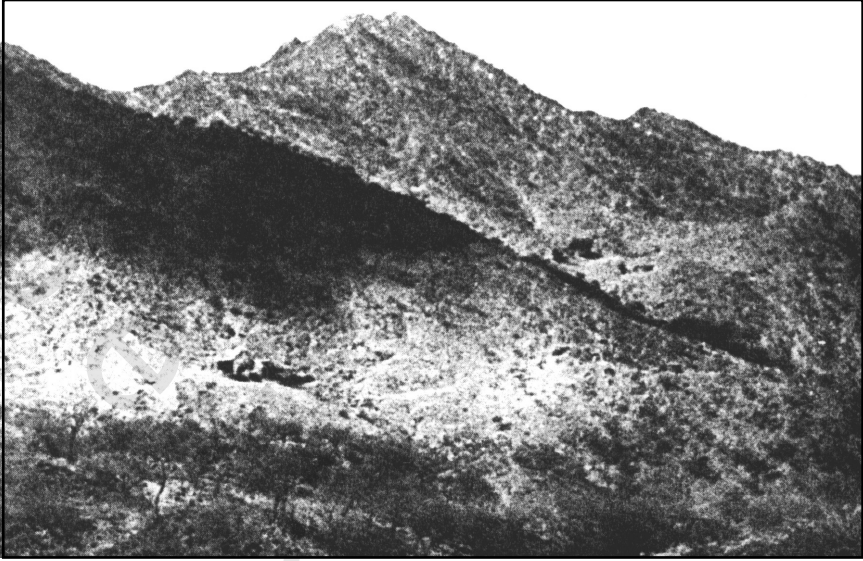
قرى قحبة، هجو، وختم من عند أم حمر



في اتجاه عبر وادي رقية، على السلسلة الأولى يلاحظ سودا، ونشمة وحدجة وعلى السلسلة الثانية تشاهد ريذا، ظاهر (زاهر)، خشير، ختيبة وروحام



عمود قعمة معروب، حتروش ومتعب ويحيى على اليسار وعلي بن فرحان على اليمين



منظر على الحدود إلى قمة قلحة، فوق قرى منر وصحف على الجانب اليمني



ممر نجد أم نشمة



في اتجاه إلى أسفل وادي سموعة من عند قلات الظيور (الضيور)



في اتجاه وادي حريب من عند علياش



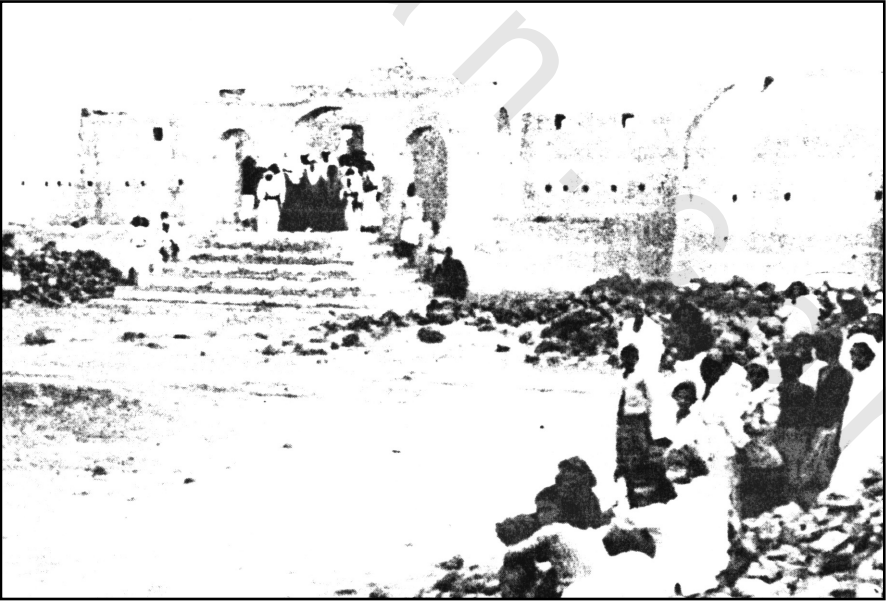
فرن بدو لاستخلاص الراتنج (الصمغ) بالقرب من وادي حريب



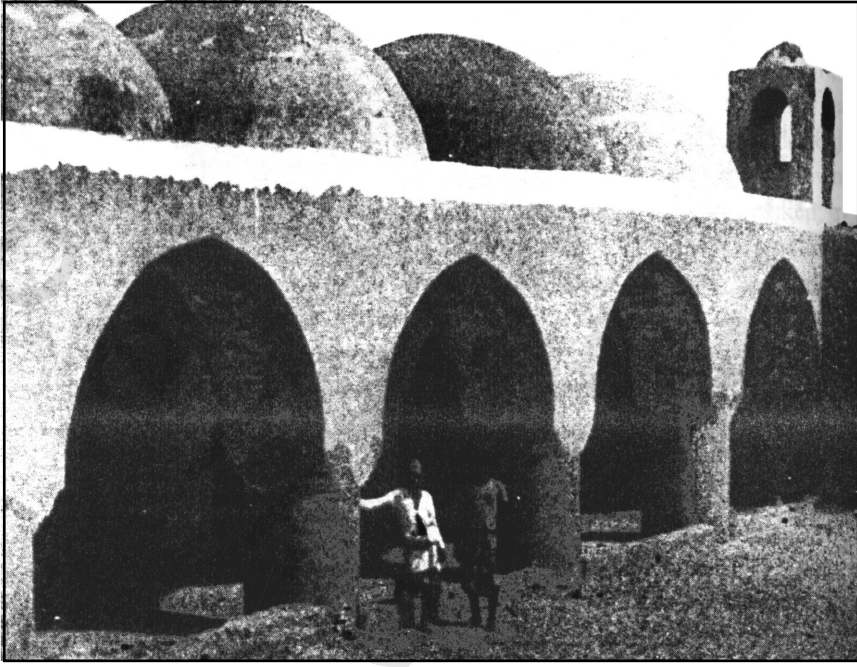
عمود قفلة الحدودي



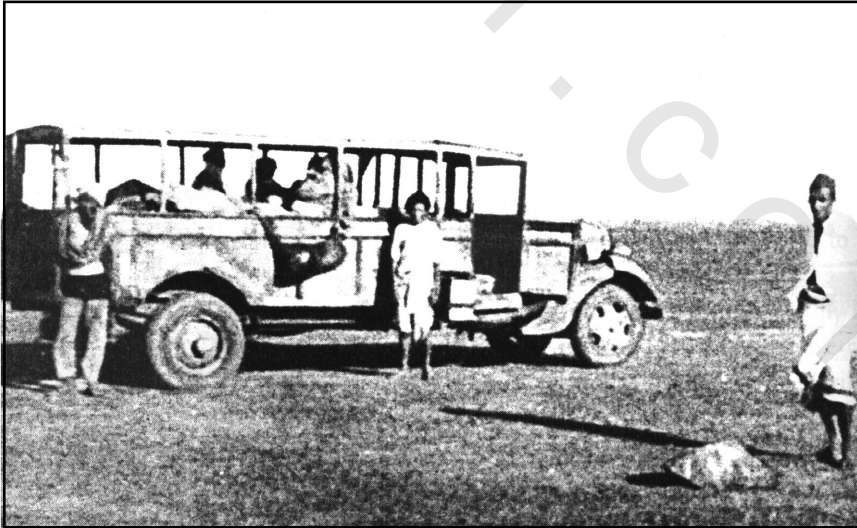
في اتجاه وادي جازان من مدخل



قلعة مداخل القديمة، مصانه جزئياً



الجزء الداخلي من مسجد أشرف في أبو عريش



عمود مقطع الرديف الحدودي على الطريق الساحلي بين جازان وميدي



علي بن نجيب وشريفين محليين بجوار كوخ في خوية



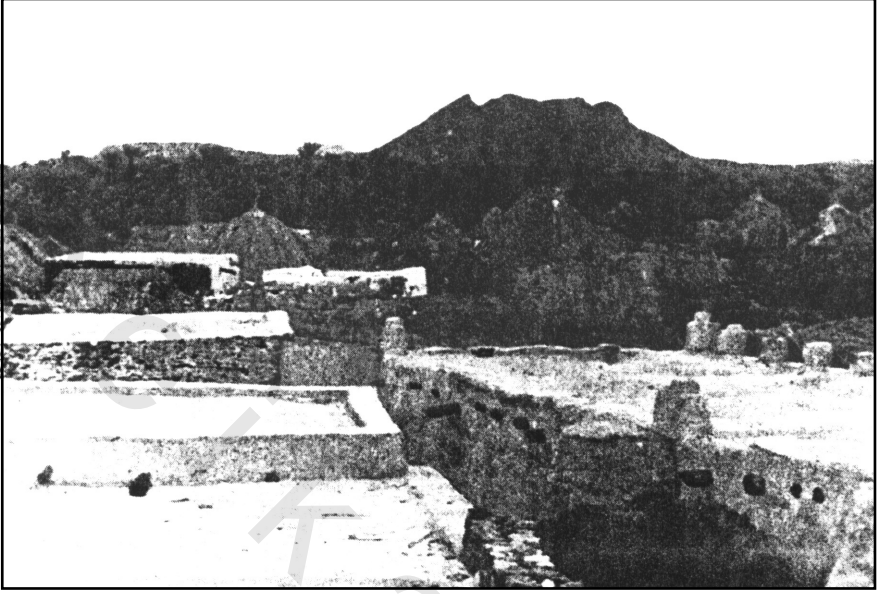
مسلتان (ضريحان ؟) في وادي مقيلة



قرية بيطرية، ناحية الشرق



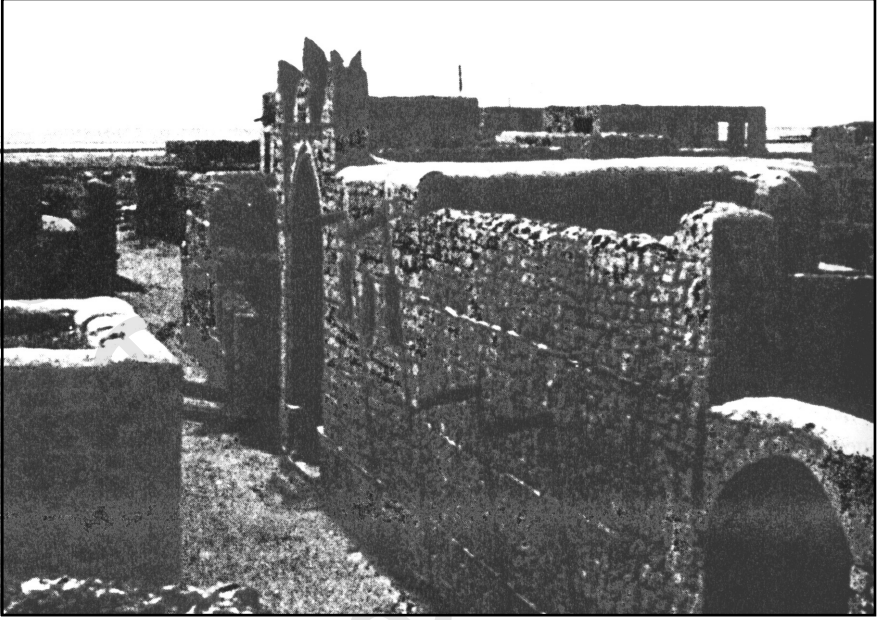
أم الخشب: الشريف حسن والشريف حسين وخدامهما



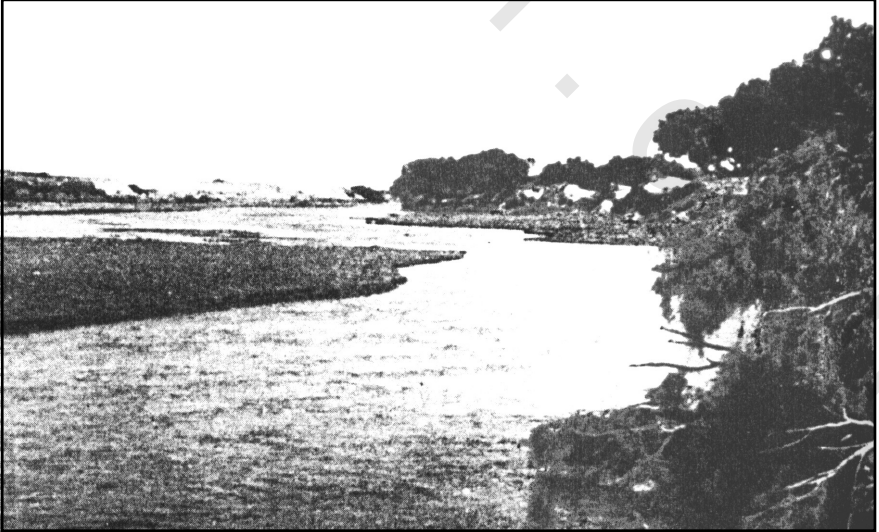
النظر ناحية الشرق فوق قرية قحمة تجاه الفوهات البركانية لكل من كاف وخرمة



فجوة في الطريق عبر حقل حمم بركانية، ذات جدار مدعم وبوابة



شارع في القنفذة



وادي أحسية أثناء الفيضان، الشاطئ الأيسر

لقد كان الموقف متشابهاً في كل الحالات -كما أرى- وقد أيدتني في ذلك اتجاهات البوصلة وتعريفها. وبقبولنا لهذا الرأي، فقد تم دمج أعمدة كل من حمرة ونيد جنزة تحت الرقم ٤١، مع احتمال ضئيل بأنهما منفصلان. وهو احتمال على ضوءه أعددت الرقمين ٤١ و ٤١ (أ). يتخذ جرف الرصفي الرقم ٤٢ على الحدود ويكون عمود الحدود في قمة معروفة بالرقم ٤٣ وقمة قلحة بالرقم ٤٤. وكنت بهذا قد ربطت نهاية الحدود على الفجوة التي كنت قد تركتها من قبل في عليين.

يجري مسيل صغير اسمه شعيب أعريب في مقابل عمود قعمة معروب، إلى أسفل داخل دفع من سلسلة ظهران الخارجية، وخطر بذهني أن الاسم لهذا العمود يمكن اشتقاقه من هذا وأنه يجب أن يكتب كما يلي «قعمة أم أعريب». استطعت رؤية قرية الشقرة الصغيرة عند جرف رصفي، داخل مسيلها الذي يحمل الاسم نفسه، في الموقع الذي يدخل من مسيل الشقرة داخل دفعة عند زاوية منحناه. وهو يقع بالطبع، داخل أراضي يمنية، وينتمي إلى قبيلة آل ثابت، وهي من آل جمعة. ويدخل شعيب جلال، قليلاً من حول المنحنى إلى دفع، عند ممر يطل على وادي ضمد الأعلى على الجانب البعيد. ويوجد على هذا الممر عمود حدودي سنعود إليه عما قريب.

عبرنا في هذه الأثناء للوادي من رصفي، ناحية قمة قلحة اتجاه الجنوب الغربي في وسط التلال السفحية. لقد كانت مسيرة مجهدة في بلاد كئيبة، ومكسرة، وصخرية، وقد خرجنا منها بتسلق قصير وحاد لنصل إلى العمود الحدودي (رقم ٤٤)، يقع عند القمة على ارتفاع حوالي ٥٣٠٠ قدم فوق سطح البحر. وحوالي ٧٠٠ قدم فوق مستوى دفع عند قدم رصفي. لقد كانت لديّ

-لحسن الحظ- برتقالة واحدة في جراب المؤونة، كان قد قدمها لي عبدالله بن شرقه وقد التهمتھا الآن، شهية وسط حلقة معجبة من رؤساء نجد. لقد كنا من الواضح، أكثر عددية من أن نفكر في اقتسامها، غير أنني شعرت بالخجل بأنني كنت أخفف من عطشي، بينما لم يحضروا هم حتى زوادة الماء. لقد انتهى أمر البرتقالة سريعاً -على أي حال- وعدت لعملي. ونحن الآن تجاه الجنوب الشرقي من معسكر الفقوة، وكان موقع عمود نجد جنزة واضحاً ناحية الشمال الشرقي، على مسافة خمسة أميال. ويقع مجرى دفع داخل الزاوية التي يكونها هذان الخطان، وهو ينحدر ويدور بينما تمكنا من رؤية قرية آل ثابت بأبراجها السكنية على السفح لمسيل يقع فوق الشقرة، ويجري خط الحدود من هنا في اتجاه جنوب الشرق على امتداد سنام السلسلة التي بدأت فوق ممر نجد جلال إلى حيث جرف كتفه الكثيف الأشجار الذي عنده ينحدر مرة أخرى في اتجاه الوادي.

ثم سرنا على طريق ممشى ماعز ملتوٍ إلى منتصف المسافة، عبر غابة قرظ كثيفة، ووصلنا إلى صخرة شعيب جلال على الجانب الأيسر، والتي تطل على قرية صُحيف الصغيرة التي وقفنا عندها نزولاً عند رغبة متعب رئيس قبيلة آل ثابت لننال بعضاً من كرمه الذي كان قد غمرنا به، ولتقديمه لنا الماء واللبن والبن من إنتاج مزارعهم الخاصة. لقد ناولته ريالاً ونحن نعد العدة لمواصلة السير، فقبله على مضض صادق؛ إذ إنه لم يرغب أن يجازي على كرمه.

لقد كانت كل القرى الصغيرة التي تقع على الجانب الأيسر لدفعه بالطبع، داخل أراضي يمنية وتقع تحت إدارة مقاطعة مجز. وينطبق هذا أيضاً على منطر، التي مررنا بها في طريقنا إلى مضيق وعمود الحدود نجد جلال، حوالي ٥٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. ثم وصلنا هنا إلى انفصال مؤقت للطرق، وسأتهجه

ومعي في رفقتي حتروش وخبراء حدوده إلى حافة سلسلة الحدود العالية، بينما تتجه بقية المجموعة ويقودها عبدالله بن شرقة إلى مسيل قيف داخل وادي يشق طريقه في الجبال حيث سيكون معسكرنا بين الحقو وبساتين قرية معينة. ينحدر مسيل قيف عند رأس ضمد الذي يعرف محلياً باسم أم صدر، ويقع التقاء المديرية وضمد قليلاً إلى أسفل، بينما يقع موطن حتروش في قرية الوجلة أو (ولده) فوق السلسلة الخارجية، بين المساليل التي تغذي المديرية والوادي الرئيس.

لقد كان رقم العمود الحدودي لنجد جلال هو ٤٥، وكان علينا أن نتسلق منحدرًا شديدًا غير أنه قصير، لنصل إلى العمود الحدودي التالي رقم ٤٦ ويسمى نجد صحية. وتطل على نجد جلال مسطبة صغيرة كان عمودها الحدودي على مسافة ١٥٠ قدماً أسفل موقعنا، وغير مشاهد لنا، إلا أنه مغطى بعدد كبير من ركام الحجارة، ولربما كانت موقعاً لمقبرة قديمة. لقد أمكننا الآن رؤية رأس ضمد وتحيط به صخرة جلمود مهيبة.

كنا لا نزال نواصل تسلقنا فوق نتوء صخري إلى كوم حجارة حدودي قبلي قديم (غير متضمن في القائمة الرسمية للعلامات، ولربما نصنفه تحت الرقم ٤٥ أ) لرزمة أم حرا التي تقع على حافة سفح شديد الانحدار على ارتفاع ٥٨٠٠ قدم فوق سطح البحر. كما يقع أمامنا منظر رائع لنجد جنزة ويرى فيه مسيل معول، الذي ينحدر من عنده إلى دفع الذي ينحني من عند موقع الالتقاء إلى الخلف ناحية الغرب وعند قمم القهرة، وتقع أمامنا الآن أيضاً مناظر أوسع ناحية أسفل وادي ضمد وحتى كل من عياش والعر جنوباً وفيها نفسها ناحية الجنوب الغربي، وتقع القرى المرتفعة فوق سلسلة آل يحيى قليلاً إلى يسار الشريط نحو عياش، وهي: ولجة، حلبة، شحدان، وعصيمة، بينما وقفت منسية بارزة على جرف ضمد في خط واحد مع فيفاء تقريباً.

واصلنا تسلقنا لنصل إلى العمود الحدودي رقم ٤٧ واسمه نجد أم رفسة، ويقع في مضيق بين رؤوس مساليل تتجه جنوباً ناحية وادي ضمد وشمالاً داخل الأراضي اليمنية لتتصل مع وادي حنبة وهو رافد لدفع، والذي يتصل عند المنحنى مع كل من شعيب جلال وشعيب الشقرة.

كان ارتفاعنا هنا حوالي ٦١٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر، وبعد تسلق قصير وحاد على السفح المقابل وصلنا إلى عمود الحدود رقم ٤٨ والمسمى رزمة الرقبة، ولعله يسمى هكذا لأنه يقف في واجهة قرية الرقبة فوق الجرف، كان ارتفاع الجرف حوالي ٦٢٥٠ قدماً، ويقع قليلاً إلى ورائه كوم حجارة رقم ٤٩ لرزمة أم فرحة، التي تقف في واجهة سوق القرية التي تحمل الاسم نفسه على ارتفاع ٦٣٠٠ قدم فوق سطح البحر.

ويتبع خط الحدود في هذا القسم محيط حلقة السلسلة الواسع التي تهبط في انحدار شديد في عدد من المساليل كثيفة الأشجار إلى مستوى وادي ضمد بينما يتصل بسلسلة حنبة على الجانب اليمني مع سلسلة حدودية (تسمى عارف تبدأ من نجد رفسة إلى الأمام) لتكون رأس وادي حنبة.

ثم واصلنا سيرنا حول طرف الحلقة إلى العمود الحدودي رقم ٥٠ بضحرات (ينطق ثحرات) أم قشة، وهي على نفس ارتفاع العمود السابق، وقد كان المنظر بصفة عامة هو نفسه لم يتغير إلا في ظهور قريتين على قمة السلسلة (هما ضهر والسودة) بينما تقع معينة ناحية اليمين إلى أسفل منا وتكون قرية درا الصغيرة وراء السلسلة فيما يليها.

نستطيع أن نرى بقية أفراد مجموعتنا وهم يستريحون في المعسكر بين بساتين معينة، وكانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً. لقد كنا عطشى بعد مسيرة يوم شاقة. وقررنا لذلك إيقاف العمليات لهذا اليوم، وسرعان ما كنا نسلك طريق العودة إلى أسفل عبر ممر شديد الانحدار فوق مسيل كثيف الشجر. لقد هبطنا خلال نصف ساعة إلى ١٠٠٠ قدم لنجد أحد رجالنا يجلس بجانب الطريق ومعه قربة ماء جلدية كنا قد رحبنا بها كثيراً، وتوقفنا عنده قليلاً لنستمتع بشراب الماء منها. كان هذا الرجل قد حضر لنجدتنا بناءً على التوجيهات التي أرسلت له بواسطة الصراخ والصياح من فوق المرتفعات ناحية المعسكر من أحد مرشدينا عند عمود قشة الحدودي، الذي يقع على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم أعلى السلسلة ولمسافة سير على الأقدام مدة ساعة كاملة كما فعلنا (دون احتساب زمن التوقف).

ثم مررنا بعدد من عشش البدو البسيطة التي تشاهد قليلاً أسفل هذا الموقع. ولربما كانت مجرد مواقع وقاية للمسافرين. ثم دخلنا المعسكر بعد غروب الشمس بقليل من فوق أحد حقول معينة المحصودة ذات المساطب. لقد كان يوماً صعباً ومرهقاً، ونحن نحاول أن نتابع حدوداً سيئة المعالم في وسط غابة من أشجار قصيرة، والتي كنا نحارب طريقنا خلالها خاصة تجاه الغرب من رفصة، عبر شجيرات شائكة وغيرها من الأجمات. لقد حاول الشيخ يحيى الخالدي أن يتخلف عن المجموعة في وقت مبكر، بحجة أنه متوعك وعزا ذلك بلا خجل، إلى إكثاره من تناول وجبة فطورنا، التي كانت مكونة من لحم الضأن والأرز، وأتبعها بالشرب بشرابة من مياه الغيل دون ذكر شيء عن المنعشات الأخرى في قرية صحيف. لقد شعر حثروش بالملل من إجراءات سيرنا وحاول أن يكون سيئ الطبع مرة أو مرتين في محاولة لتقصير مسافة السير، ثم صار معقولاً أكثر وودوداً

حينما تحقق له أنني مصرٌّ على مواصلة السير إلى أقصى مدى ممكن. لقد كان رجلاً وسيماً، متقدماً في السن، مع ميل عنده ليكون فظاً وعابساً وصرح لي متفاخراً بأنه لم يتعد حدود أراضي قبيلته من قبل إطلاقاً! كما رجاني علي بن فرحان، في الختام وكرر ذلك بأن نتوقف، وذلك بحجة أن المعسكر سيكون بعيداً جداً عنا ولن نستدل عليه في الظلام، غير أنني كما ذكرت من قبل، كنت قد قمت بتوقيت كل شيء في قناعة. عندما وصل هذا النزاع إلى مستوى حرج عمدت إلى الترمسين المحتويين على كل من الشاي وشراب القشر (قشر البن) بالتالي، وقد أنعشت هذه المكيفات كل فرد إلى فترة ما، كما أكرمنا علي بالزبيب مما ساعدنا على المضي في السير. لقد استفدت الدرس من كل هذا، وهو أنه وفي المستقبل لا بد أن تكون معنا بعض المؤن -على الأقل- لصد الجوع أو العطش حتى لا يكون أي منهما سبباً للنزاع فيما بيننا.

لقد استمتعت حين وصولنا إلى المعسكر ببراد الشاي، وبمحتويات علبة من الكرز الياباني إلى حين الإشعار بقدوم وجبة العشاء. لقد كانت هذه أول مرة لأي من هؤلاء الشيوخ ليقف فوق هذه القطعة من الحدود، وذلك باعترافهم بأنهم ظلوا مع أعضاء اللجنة في الوادي بينما كانت لجنة الحدود تقوم بجولتها في الأعالي. لقد أسند عمل بناء العمود الحدودي -وبعد النقاش من الجانبين حول الموقع- إلى بدو يمثلون القبائل على جانبي الشريط. ولقد قاموا هم أنفسهم بأداء عملهم بشكل روتيني تعوزه الحماسة وتدفعهم رغبة موطدة العزم، وهي العودة لرفاهيات المعسكر بأسرع ما يمكن. لقد واجهتنا هنا المشكلة المتكررة المتعلقة بالبحث عن بعض العلامات بين أجسام الشجر، وكادت بعض هذه العلامات تبدو كأنها تراكم طبيعي للحجارة أكثر من كونه ترتيباً صنعه الإنسان أو عموداً مبنياً. كان أكثر ما انطبع في

ذهني عن هؤلاء الناس، هو افتقارهم إلى العزم وقوة الاحتمال أثناء المسيرة. كما كانوا كثيراً ما يتوقفون لالتقاط أنفُسهم، ومتى ما سنحت الفرصة فكانوا يلقون بأجسادهم تحت الأشجار أو في ظل الصخور لحماية رؤوسهم من الشمس. لقد كان عرضاً شائناً، وكان جهلهم العام بالبلاد مدهشاً لي أكثر. يستطيع أي منهم بالكاد، تسمية أي معلم، حتى القرى التي تقع خارج منطقتهم، على الرغم من أنه قد كان معي ممثلون من العديد من أقسام هذه البلاد. كان طقس اليوم بارداً بشكل مرض، برغم أن إجهادنا كان عنيفاً. كانت الظهيرة ذات سحب في معظم الوقت مع حركة نسيم لطيف، لقد تراكم السحاب عند الغروب ولم يكن هنالك أمل لي في ملاحظة النجوم. لقد كنت سعيداً بالذهاب إلى النوم مباشرة بعد العشاء الذي لم يقدم لنا الآن عند الساعة الحادية عشرة مساءً، وذلك لعدم وصول الماعز حتى وقت متأخر.

تقع قرية معينة الصغيرة على مسافة ٣٠٠ ياردة من معسكرنا وتمتد حقولها ذات المساطب إلى ارتفاع ٢٠٠ قدم إلى جانب التل إلى موقع فم صدع عظيم ينحدر إلى أسفل الجلمود عند قمة سلسلة عارف. لقد تم حصاد الدخن وبدأت المساطب عارية إلا مما تبقى عليها من جذوع، وكانت تتخللها مزارع صغيرة للبن هنا وهناك، كما كانت هنالك الكثير من المساحات من أشجار التين، وكلها عارية من الورق. يتصل كل من صدع حلحال الذي ينحدر من عند معينة، ومسيل صومال، الذي نزلنا عن طريقه عند قشة، إلى جانب مصارف أخرى ثانوية، بالقرب من القرية الصغيرة، لتعبر إلى الخارج عبر حواجز التل ناحية ضمد في ممر ضيق صخري شديد الانحدار، وتقف فوق رأسه أطلال السودة في شكل منطري. ترتفع معينة إلى ٤٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. وكان الطقس دافئاً في الوادي أثناء الليل ولا يوجد ندى. كما شاهدت بعض القروء في الصباح على سفح نتوء عارف، ولم يكن عددها كبيراً في هذه المناطق المأهولة جزئياً.

كان علينا أن نعيد تتبع خطواتنا، التي قادت إلى نزولنا من عمود قشة الحدودي، وذلك لمواصلة مسحن المتقطع للحدود. أعلن الشيخ يحيى إصراره على البقاء مع المجموعة من الفرقة التي ستتخلف على مستوى ارتفاع أقل، ولم أر مبرراً في الشجار معه حول هذا الأمر. ثم بدأنا التسلق عند الساعة الثامنة صباحاً ومعنا ما يكفي من مؤن للطريق داخل سلة يحملها أحد رجال حتروش، وكانت الساعة العاشرة صباحاً، وقد سال منا العرق بعد تسلُّق صعب، حين وصلنا إلى نقطة البداية لأعمال اليوم، وتوقفنا مدة ساعة نستطلع المنطقة. ثم تداخلت السحب كثيراً مع الرؤيا ناحية الجنوب وناحية الغرب، غير أنني كنت قد تحصلت في المساء السابق على اتجاهات كل من العر وعياش وجلحة في الاتجاهين الجنوبي والغربي، وكان جلحة هو الأقرب إلينا من بين الثلاثة وينقسم إلى كتلتين رئيسيتين، فالتى على اليمين أرض سعودية وتمتلكها قبيلة زيدان من آل يحيى، بينما الأخرى تحتلها قبيلة خولان اليمنية، التي تنتمي لاتحاد فroud (ربما كان متطابقاً مع نصيفه بن خولان).

كان موقع ممر نجد جنزة واضحاً ناحية الشمال الغربي، بينما يقع العمود الحدودي في أشقة ناحية الجنوب الشرقي، ويحمل هذا العمود الأخير رقم ٥١، غير أننا حينما وصلناه عند الساعة الحادية عشرة كانت السحب قد تجمعت بكثافة، وغاب عن أنظارنا العالم كله، عدا المواقع القليلة القريبة للسلسلة التي تحدد خط الحدود ولكن بلا أعمدة. ولقد تم تعليم هذه المواقع لأجل الملاءمة حين الرجوع إليها بالإشارة إليها برقم ٥١ (أ-ب-ج-د-هـ) كما يمكن تجاهلها كلها في كل الأغراض العملية ما عدا ٥١ أ، وهي عبارة عن مضيق حضر الذي منه ينحدر مسيل حنبة إلى أسفل على الجانب اليمني إلى موقع قرية ضحرة على جانبه الأيسر

(وتنتهي لحبنة آل جمعة)، ثم يدور ليتصل بدفع في وقت لاحق. وكان هذا المسيل، وكذلك كل السفوح والقمم حوله ومضيّق حضر، مغطاة بكثافة بأشجار العرعر والشعث والقمار، التي تدلّت من أغصانها كتل ضخمة من الأشنات الهوائية تسمى علايين. كما يوجد نوع من الصبار يسمى «خدن» بكثرة وينمو من داخل شقوق الصخور. تلمسنا من هذا الموقع النقاط الأربع الأخرى التي ورد ذكرها، والتي كان أكثر ما يلفت الاهتمام إليها هو أن مسيل مسرب يمر بين الأخيرتين منها إلى أسفل، من ممر يتصل بعده مع صدع حلحل، في طريقه إلى معينة، وهي قرية غير مرئية لنا تماماً وذلك بسبب تراكم السحب. كما نستطيع من حين لآخر التقاط لمحة لبعض السمات وذلك من بين طبقات الضباب المتحرك، وكان من المستحيل القيام بأي عمل في هذه اللحظة ما عدا تحريك اتجاهات البوصلة من موقع إلى آخر وتقدير المسافات. ويبدو أننا متعلقون إلى البعيد في السماء من فوق العالم داخل غطاء من السحب.

لقد كنا نتلمس طريقنا من خلال الضباب وعبر الغابة التي تتقطر بالمياه، وذلك مدة نصف ساعة حتى وصلنا إلى جرف رأس سويد الذي يعلوه كوم حجارة حدودي قبلي قديم، والذي رفضت قبوله لجنة الحدود كمعلم حدودي عالمي. وربما لم يكونوا مدركين لوجوده، وعلى أي حال، فقد أصدروا توجيهاتهم إلى مبعوثهم البدو لبناء كومة حجارة في هذا الموقع. وكانت النتيجة نصباً تذكاريّاً تعيساً من حجارة ومخلفات، كان نصفه قد اجترفته المياه إلى داخل الهوة الفاغرة الفم على عمق ١٠٠٠ قدم إلى أسفل الجرف، الذي وقف في شموخ على ارتفاع ٧٣٠٠ قدم فوق سطح البحر و ٦٠٠ قدم أعلى من أشقة. لقد كونت النقاط العديدة المعترضة التي لمسناها وتراً ضحلاً حول رأس الحلقة التي كانت سفوحها الصعبة والشديدة الانحدار

مغطاة بكثافة بغابات العرعر التي امتدت فوق السلسلة الحدودية وهبطت أيضاً من ناحية سفحها الجنوبي إلى حنبة. لم تكن هنالك، بالطبع، طرق فوق السلسلة، إلا ما كان بعرض الممشى الضيق، فهو يقود من الشمال إلى الجنوب عن طريق المضايق والمسائل، ولكي نعبّر الغابة كان علينا بالفعل أن نشق طريقنا شقاً إلى الأمام. ويضيف الضباب المبتل الاسكتلندي الكثير لهذا الاجتهاد الشاق إلى جانب أنه ضار في أغراض المسح. وقد تمكنا من التقاط لمحات من حين لآخر ناحية الشمال والشمال الشرقي من خلال فجوات في الضباب. لقد أحاط من حولنا الخط الطويل لجرف مرعة وَحَدَّ من مجال الرؤيا، من جبال مدحرجة، الموجة منها تلو الموجة، وسلاسل عالية مكسوة بالغابات.

توقفنا مدة ساعة عند عمود الحدود رقم ٥٢ على الرغم من الهجوم المغيظ لمستعمرة من النمل الحقيقي، يبدو أنها كانت غير راغبة في تطفلنا على خلوتها، وذلك على أمل ضئيل أن يتحسن الطقس. لقد كان سلوك زملائي أفضل مما كان عليه في اليوم السابق، ربما يعود هذا للمؤن الكافية التي أعدناها لأجل غداء النزهة. ولا أعتقد أنهم قد استمتعوا بالضباب مثلما فعلت أنا، ولكنهم على الأقل لم يتذمروا من الحرارة. واصلت السلسلة ارتفاعها في لطف إلى حيث العمود التالي لنجد كرب (ينطق شرب، ولعلها تعني شرب أو سرب) عند رأس نتوء حاد يسقط إلى مسيل ثويري، الذي ينحدر فوق السفوح السفلى الصخرية كثيفة الأشجار للسلسلة، ماراً بقرية آل يحيى التي تسمى عثيمة وتقف على رأس عرن من الصخر. كان هذا العمود الحدودي رقم ٥٣ الذي يرتفع حوالي ١٠٠ قدم فوق ارتفاع سويد محاطاً بغابة كبيرة من أشجار العثم مع نمو تحتي كثيف لنبات الثار الذي تواصل فوق قمة وجوانب السلسلة التي ما زالت تصعد إلى جرف قلة شيبان وهي معلم حدودي

غير مسجل رقم ٥٣ أ يقع عند ارتفاع ٧٦٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر . وتقع قرية عثيمة ناحية الغرب من هذا الموقع ، بناءً على ما قاله مرشدي ، واللذان قد أشارا أيضاً عبر القناع الكثيف للسحب إلى ناحية الشمال الغربي إلى موقع معسكرنا الأخير في معينة . لقد كان إحساسي الخاص بالاتجاهات مشوهاً ، بلاد بلا علامات أرضية ، واعتماداً على مرشدي ، فقد رأيت أنه من الأفضل أن اطلب منهما التصويب بالإشارة إلى ناحية الجسم المطلوب بالبندقية ، وأن أفق من وراء أكتافهم ومعني البوصلة لتحديد ذلك الاتجاه .

كان لديّ الانطباع طيلة النهار بأننا كنا نتجه غرباً ، بينما في الحقيقة فإن الاتجاه العام لمسيرتنا من قشعة وإلى الأمام كان ناحية الجنوب الشرقي ، ويكون كل من وادي حنبة والسلسلة فيما يليه (داخل وادي دفع على الجانب البعيد) على جانبنا الأيسر . ثم يتجه مسارنا ، مصحوباً بارتفاع ضئيل ، ناحية الجنوب الشرقي ، مارين بربوة بلا اسم ولا علامة ٥٣ ب إلى حيث العمود الحدودي التالي فوق الجرف واسمه قلة نبشة رقم ٥٤ ، عند ارتفاع ٧٧٠٠ قدم . نحن الآن على ارتفاع يفوق أي ارتفاع آخر ، وصله أيّ عمود حدودي آخر ، فوق قسم الهضبة من الحدود ما عدا كل من سبحتل (٧٨٠٠ قدم) ورأس شعب القوم (٧٧٠٠ قدم) . وتجري الحدود من وعوا إلى علب عند ارتفاع يزيد عن ٧٠٠٠ قدم وقد صار خط الحدود الآن من مضيق حضر ٥١ أ إلى الأمام على الارتفاع نفسه ٧٠٠٠ قدم ، ويعلو إلى ٧٧٠٠ قدم في موقعنا هذا وكذلك عند العمود الحدودي التالي رقم ٥٥ واسمه معقر ، وكانت هذه هي أعلى النقاط لهذا القسم من الحدود المرتفعة . وكلما ارتفعنا إلى أعلى ، ازداد الضباب ، وكانت كل شجرة في نبشة وكل جنبه تتدلى من أفرعها الأشنات ويقطر منها الماء . كانت الحشائش التي تنمو على أرضية

الموقع بنية اللون وجافة كأنما قد عانت من الجفاف. وقد كانوا يجمعون الأشنات المتدللية ليصنعوا منها فرشاة لكس أرضية المطاحن.

يرتد اتجاه الخط الحدودي من نبشة إلى الخلف، في اتجاه الجنوب الشرقي إلى ناحية الشمال الشرقي، ليصل إلى العمود الحدودي المسمى معقر، وهو كوم بائس من حجارة سائية ملمومة مع بعضها البعض لتؤدي وظيفة المعلم الحدودي. ولم نر القروء في كل هذه الأراضي ذات الغابات، غير أن مخلفاتها كانت منتشرة فوق السطح ولا بد أن تكون متوافرة في أعداد ضخمة. لم يكن هنالك غياب لثمار العليق البري وغيره من الثمار التوتية التي تتغذى بها القروء. لقد تجاذبنا أثناء سيرنا الحديث حول حرب اليمن، والتي أدى فيها حتروش وغيره دوراً مشبوهاً. ولقد ساعدوا بالتأكيد وآووا عبدالوهاب ومتمردوه من الإدريسيين. ولقد أخبرني كذلك بأن القوات اليمنية قد تغلغت إلى كل هذه المنطقة، وعبرت ضمد لتحتل جبال بني مالك وفيفاء نفسها.

لقد وصلوا إلى سوق عيبان واحتلوه لأيام قليلة، ولم يكتشوا لأكثر من شهرين، في المناطق التي تقع إلى الشمال من ضمد. كما وقع معظم القتال الفعلي بين عصابات عبدالوهاب وقوة حملة حمد الشويعر على سفوح وغابات سلسلة هذه الحدود، كما أدمن معظم بني مالك والقبائل المجاورة استعمال ضرب من بدائل التبغ يعضغونه باستمرار، ويسمى هذا الضرب من التبغ (برتقان) ويحتوي على أوراق برتقال مجففة، مستوردة بكميات كبيرة من أسواق اليمن، والتي تتلقاها بدورها من مصادر أجنبية، معبأة في بالات مسطحة، تسحق الأوراق إلى مسحوق يشبه النشوق وتضاف إليه مادة تسمى دقدقة، غالباً مستخلصة من الليمون، ثم يحمل الخليط في صرة من قماش أو جلد والذي يستمرون في

مضغه، ثم ييصقونه في كتل حمراء، تخلف علامات واضحة على الأرض والصخور ويبدو أن المادة منبهة في لطف.

يدور شريط الحدود من معقر ناحية الجنوب الشرقي ليتجه إلى العمود الحدودي التالي واسمه نجد نشمة رقم ٥٦ عن طريق مضيق متعارض غير معلم يسمى شروه (١٥٥). ثم ينحدر سفح السلسلة، على يسارنا ونحن نتقدم في هذا الاتجاه، عبر غابات كثيفة إلى الجزء الأعلى لوادي حنبة، الذي كانت فيه ثلاث قرى هي مقره، وذات قسمين هما: حلقمى وخوارج بهذا الترتيب في اتجاه أعلى الوادي، ويقطنها كلها جماعة الحنابة (بني جمعة).

كما تجري على الجانب البعيد من هذا الوادي سلسلة عقيمة الطويلة، ذات القمم المغطاة بالغابات، والتي تكون حلقة مع كتلة تليه تسمى شعثمي، وتقع بينها وبين سلسلة كتفة، التي تقع أمامنا، على شكل دائرة حول رأس الوادي. ثم هبطنا من معقر لعمق ٥٠٠ قدم إلى مضيق شروه الذي عنده ينحدر نتوء حاد إلى عمق ٢٠٠٠ قدم إلى مسيل شروه وقرية آل يحيى في أسعر عند ارتفاع ٤٥٠٠ قدم فوق سطح البحر أو ٢٧٠٠ قدم أسفل المضيق، وبالقرب من التقائه مع شعيب لحج عند سفوح كتفة. ثم ينساب المجرى المشترك الآن عبر ممر صخري لطيف للسلسلة الخارجية، أسفل المرتفعات العليا لقرية ولدا، ومنها إلى ضمد. لقد بدأ الطقس يصفو، كما اقتربت مناسط يومنا من نهايتها. والساعة تشير إلى الرابعة والنصف، وأمكنا رؤية فيفاء أسفل قلنسوة سميكة من السحب ناحية غرب الجنوب الغربي. كما أمكنا كذلك رؤية قمم جلحة وعياش فيما يليها، وتقع قرية نجد قحف الصغيرة في انطواء لعياش بينما التقطنا لمحات عبر وادي ضمد لبعض قرى الجرف، بما في ذلك الرقبة وريادات العز فوق العرن الطويل الذي يجري إلى

أسفل من ذلك الجانب إلى حافة ضمد، والذي يقع واديه المملوء بكميات وافرة من مياه الغيل، المتألثة في ضوء الشمس المتقطع مكشوفاً لنا ولأول مرة هذا اليوم، ويجري مسيل نشمة على الجانب الأيسر للمضيق إلى أسفل ليتصل مع وادي حنبة عند حلقيمي.

يقع عمود نشمة الحدودي قليلاً ناحية الجنوب الشرقي من موقعنا ويكمل الوتر للسلسلة التي بدأت من معقر، ثم هبطنا إلى حيث موقعه من مضيق شروه لنجد أنفسنا عند بداية سلسلة كتفة، التي ترتفع إلى ممر تكسوه الغابات عند نهايتها البعيدة والتي لا يقل ارتفاعها عن ٨٠٠٠ قدم وقد كانت معلماً بارزاً في المنظر الطبيعي الريفى. لم يكن علينا زيارتها كخط حدودي في الوقت الحاضر وهي تمتد على مسافة من عمود نشمة إلى موقع خالٍ من العلامة (١٥٦) عند ارتفاع حوالي ٧٠٠٠ قدم، ثم ينحدر على حافة نتوء حاد كالسكين إلى قرية لحج المزدوجة التي تقع ناحية الجنوب من موقعنا، وقليلاً أعلى أسعر، لقد كانت أسعر هي هدفنا المباشر كما أمكننا رؤية زملائنا وهم يعسكرون من حولها. لقد قررنا أن نتخذ الطريق المباشر إلى المعسكر وقد كادت الشمس أن تغرب، إلى أسفل السلسلة وأن نترك فحص بقية أعمدة الحدود ليوم الغد. كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساءً، وكان الظلام دامساً على الرغم من البدر الكامل الذي حجبتة السحب، ثم لحقنا بزملائنا في المعسكر على طريق منحدر هبطنا خلاله إلى ٢٥٠٠ قدم.

كانت قرية أسعر تحتل موقعاً جميلاً في محيط تشغله الغابات قليلاً أعلى الجانب الأيسر للمجرى، وأسفل موقع التقاء مسيل كل من شروه ولحج. ويقف مسجدها بارزاً بلونه الأبيض بين العشش الكثيرة التي تكون المستوطنة، وقد انتشرت حقولها المسطبية التي تم حصادها إلى أعلى وإلى أسفل منها وعلى جانبي المجرى

وقد حفتها أشجار التين وغيرها من الغطاء النباتي . لقد كانت هذه البلاد ملائمة لحياة الطيور . وكانت طيور السوادية وافرة ، وكذلك أسراب طيور الغداف طويل الذيل ، وقد رأيت أثناء النهار عدداً من صقور جريفون .

لقد أمضى فرج وقت الظهيرة ، بعد وصوله مع العفش ، في الصيد بالبندقية ، وقد اصطاد غنيمة ثمينة ، كانت عبارة عن أنثى لنوع أخضر من طيور الوقواق . كان هذا النوع من الطيور بالطبع جديداً بالنسبة لي ، ولم تتمكن من الحصول على أي عينة أخرى منه خلال بقية الرحلة . ولا تملك إناث هذا الطائر العرف الأخضر الجميل للطيور المذكرة ، بل لها منه أثر ملون . واعتقد العلماء ، حينما تم فحص الطائر بواسطة الخبراء في المتحف البريطاني في وقت لاحق ، مقارناً بأنواع ماثلة من الحبشة وغيرها ، بأنه نوع جديد للعلم ، ولكن بعد بحث مضمّن في أدرج المتحف اكتشف السيد جي . ل . بتز G.L.Bates عينة مطابقة لعينتي ، حينما قام بفحص الرقعة الملتصقة على العينة اكتشف أنها - وكانت هي أيضاً أنثى - قد تم جمعها قبل ثلاثين عاماً من اليمن ، بواسطة السيد وایمان بري Wyman Bury . لقد تم فحص ووصف هاتين العيتين بواسطة السيد بتز بوصفه نوع جديد وأسماه : لقد تعرف حتروش على الطائر عندما رآه وذكر أن اسمه المحلي هو ورقة كما قام فرج بإدخال ثلاث من طيور السمينة الصخري وبعض الطيور النساجة وكانت لا تزال في ريشها الشتوي .

لقد وجدنا عبدالله بن شرقة طريق الفراش بالحمى ، حينما وصلنا إلى المعسكر ، وقد ذهب إلى فراشه بمجرد وصوله إلى هناك على الرغم من أنه أعلن أنه سيكون معافى في الصباح لمواصلة المسيرة إلى موقع معسكرنا التالي . لقد حدث خطأ في نظام ترتيب المطبخ وقد قام ابن هذيل الذي كان لديه الوقت

الكافي لإعداد العشاء، بطبخ الماعز بأسلوب بدائي وبطريقة لا تدفع الشهية لأكله. كما تداخلت الشوشرات الكهربائية، لزيادة متاعبي مع استقبال الراديو، بينما حجبت السحب الكثيفة السماء، واستحالت الملاحظات الخاصة بالنجوم. لقد كانت هذه نهاية سيئة ليوم كان لطيفاً بما فيه الكفاية وحافلاً بالاهتمامات.

وكانت المسيرة إلى أسفل من عرن سلسلة نشمة طويلة ومرهقة فوق ممر صعب ينحدر في نتوء حاد يقود إلى أسفل إلى حيث مسيل شروة على يميننا ومسيل لحج على يسارنا. وينحدر مسيل لحج عند الجلاميد التي تحيط بالأسنان الشرقية للسلسلة الرئيسة التي تجري شرقاً من نهاية عرن نشمة، إلى جرف راجل المرتفع ثم يدور مرة أخرى باتجاه الجنوب الغربي إلى التواء الضخم لمسينة حيث يبدأ نتوء آخر مكوناً الجانب الأيسر للحج. وينتهي التواء اللذان يتقاربان بالتوالي في هضاب ضحا البارزة (٥٦ ب وبلا علامة) ووعر (٥٧ أ وكذلك بلا علامة) وتتقاربان في السلاسل السفلى على مجرى لحج، الذي توجد فيه شجرة عثم تقف فوق جزيرة صغيرة من الصخر تسمى مقدة التي قد اعتمدتها لجنة الحدود كعلامة حدودية رسمية (رقم ٥٧).

ويرتفع هذا الموقع إلى ٥٢٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ويقع أسفل سلسلة نشمة بعمق ٢٠٠٠ قدم. ويكون هذا الانبعاج الخارجي للحدود فيما وراء الخط الرئيس للسلسلة نتوءاً لمقاطعة حنية، ويندلق فوق الصخرة ليشتمل على قرية لحج حنبي المرتفعة التي تقف على الجانب الأيمن للحج، كما تقف في واجهتها وعلى الجانب الأيسر قرية لحج يحياوي الصغيرة التي تنتمي إلى قبيلة آل يحيى. ويجري مسيل لحج أسفل نقطة مقدة الحدودية داخل أراضٍ سعودية، من خلال ممر يحيط به جلمود رائع وتقع عند نصف الطريق إلى قرية مته عند موقع تدفق مسيل

حشرة من مضيق صوفع شرق ممر مسينة، ثم يبدأ المجرى في اعتراض السفوح المسطبية أسفل الممر، التابعة لمزارع أسعر. لقد سلكنا طريق التجارة الذي يصل أسعر عن طريق مضيق نشمة وحلقمي التي تقع إلى أسفل أيضاً مع المناطق الواقعة تحت سلطة الرئاسة اليمنية في مجز، والتي تبعد مسيرة يومين من أسعر. وتنقل مسيرة يوم واحد كما يقولون، المرء من مجز إلى صعدة. كانت الليلة في مجز بلا ندى وكانت دافئة.

واصلنا برامجنا بعد أن تحسنت صحة الأمير، وبدأت مجموعة المسح السير عند الساعة التاسعة صباحاً، متبعين طريق الهبوط الذي سلكناه أمس حتى مقدة، حيث توقفنا لالتقاط الأنفاس بجوار بركة صخرية تقع تحت حاجزها الذي يبلغ عرضه خمسين ياردة عبر المجرى. كان هنالك حجر واحد، موضوع عند موقع تفرع ساق شجرة العتم، وهو السند الوحيد للاستشهاد بأنها ذات أهمية خاصة كنقطة حدودية. سلكنا الآن التواء الحاد الذي يقع على الجانب الأيسر لمسيل لحج إلى هضبة وعر (١٥٧) ومروراً بعلامة حدودية بدوية قديمة (بين آل يحيى وحنابة) التي تقع على هضبة ضاري (ضاحي تاحي) وهي في خط واحد مع ممر مسينة (٥٧ب) الذي كنا قد وصلناه عند الظهر.

كان ارتفاعنا هنا حوالي ٦٩٠٠ قدم، ولسبب ما لم يكن من الضروري تعليم الموقع بعمود. كانت السلسلة هنا مغطاة بالحشائش الطويلة وكانت كلها جافة، مع وجود جنبات قليلة. كان كل من العمودين الحدوديين التاليين وهما صوفع (رقم ٥٨) وفرثة (رقم ٥٩) مشاهدين لنا عبر الهوة العميقة لمسيل حرشة، الذي طفنا من قبل حول وتر صخرته، بجوار مضيق (رقم ٥٧ج) عند رأس الأسنان الصخرية لنصل إليها. كان الطقس هنا -بالمناسبة- لا يزال لطيفاً وصافياً، وقد

تمكنا من التقاط منظر ممتاز من مسينة، متضمنا القمتين البركانيتين لعكوة إلى البعيد في سهل تهامة مروراً بالكتف الأيمن لفيفاء. كنا نستطيع كذلك رؤية العلامات الحدودية من خلفنا، لكل من معقر ونبشة، ونستطيع رؤية قرى تلال جلحة إلى الأمام منا.

هبطنا بمقدار ٣٠٠ قدم من عند مسينة إلى رأس مسيل يسمى سواد وهو أحد روافد لحج، ثم صعدنا من هناك مرة أخرى على حافة الجلمود الذي كان ينساب من صخوره الماء، على ارتفاع ٧٢٠٠ قدم. استمرّ صعودنا إلى مضيق حشرة على ارتفاع ٧٦٠٠ قدم فوق سطح البحر حيث استدرنا حول المنحنى تجاه العمود الحدودي المسمى نجد صوفع والذي كان على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر. لقد بدأ الضباب الكثيف يتجمع -لسوء الحظ- ويطوقنا، وقد وجدنا أنه من الصعوبة بمكان أن نشق طريقنا فوق هذه السفوح الشديدة الانحدار والخطرة جداً، عبر غابات العتم والعرعر. لقد كان كل من هاتين الشجرتين مثمرًا الآن، ويقال إنهما الغذاء المفضل للقروء المحلية، والتي على أي حال لم نرها بعد إلا أننا كنا نسمع تردد صياحها مع الصدى ومن خلال صدى السحب. وكان طائر الحجل متوافراً هنا، كما قد كنت قد لاحظت في مسينة صقراً يطارد سرباً كبيراً من حمام داكن اللون، ولربما كان الحمام الحبشي، علماً بأنني لم أتمكن من الحصول على عينة منه للتعريف العلمي.

لا يزال وادي حنبة يمتد على يسارنا وهو هنا يقترب من موقع رأسه، حيث يمتد مسيل عمقية الذي ينحدر من على بعد ميلين من نجد صوفع في سفوح كتفة الشمالية الكثيفة الأشجار، ليتصل مع مسيل قويد المنحدر من سلسلة عقية. ومن هذه النقطة تقع قرية القويعة الصغيرة في الزاوية التي يكونها الجانب الأيسر للمسيل

مع الجانب الأيمن لعميقة، ويطلق على المجرى اسم وادي حنية على اسم آل جمعة الذي تنتمي إليه كل قرى هذه السفوح، بما في ذلك مقربة والقليلة التي تقع قليلاً أسفل موقع الالتقاء، وكذلك هلمة، قليلاً إلى أسفل على الجانب الأيمن للمجرى، يجري وادي حنية داخل دفع فيما يلي تلال القهر عند منحناه العظيم. وكان جزء كبير من غابة العرعر التي تمتد من عند خط سيرنا من نجد صوفع إلى العمود الحدودي التالي في أم فريشة شرقاً وإلى الجنوب الشرقي فوق السلسلة التي تغلق رأس حنية، كان عبارة عن حطام أسود لجذوع غير مورقة وأغصان وذلك بسبب الحريق العظيم الذي عم الغابة قبل سنوات. لقد كان هنالك الكثير من الغطاء النباتي الجديد النامي في الموقع، غير أن العرعر كان ميتاً تماماً، جذوع ضخمة وأغصان عارية متآكلة. ويقع عمود فرثة الحدودي على مسافة ٥٠٠ ياردة جنوباً (قليلاً ناحية الغرب) من نجد صوفع، وقد تحقق لنا أنه التالي في العلو والارتفاع في كل الحدود إذ بلغ ارتفاعه ٨١٠٠ قدم. ويبدو أن مضيق حشمة يكون الخط الفاصل بين سلسلة عارف الحدودية وسلسلة كتفة الأصلية.

تكون السلسلة، من فرثة، التواء الجنوبي الذي ينتهي عند كتف صخرة عظيمة تسمى مروة، تغطس أسفل جلمود شديدة الانحدار إلى حيث مسيل صمعة الذي يقع رأسه عند قمة التسنن التالي للسلسلة عند ممر نجد أم رزم الذي تم تعليمه بواسطة العمود الحدودي التالي (رقم ٦٠). ويقع هذا العمود على مسافة تقل عن الميل الواحد من فرثة ناحية الجنوب الشرقي، ولكي نصل إليه كان علينا أن نهبط بمقدار ٤٠٠ قدم، ونحن نشق طريقنا فوق النمو التحتي الكثيف لأرضية الغابات وعبر الضباب الكثيف. لقد اختبر هذا التوافق في توارد المواقع رباطة جأش حتروش إلى حد الانفجار. لقد لعن حتروش بصوت مرتفع هذه الأرض واعترض

عليه حسن حسين، دليلنا اليحياوي وخيير الحدود، وأسقط اللعنة عن البلاد وألحقها بالضباب وردّ عليه حتروش ألاّ يكرر قول ذلك الكلام. ويعد من السلوك المنافي للمعتقدات في الجزيرة العربية أن يلعن المرء الماء أو المطر بأي شكل، إذ إنها شريان الحياة للبلاد.

يرتفع مضيق نجد أم رزم إلى ٧٨٠٠ قدم فوق سطح البحر ويقع عند رأس طريق يقود إلى أعلى، إلى قرية خرمة التي تقع أسفلنا عن طريق مسيل صمعة ويتجه إلى قرى حنبة ومنها إلى مجز، وينحدر شعيب خرمة نفسه من فوق جرف وجاميد قلة ضيور وهو البروز التالي للسلسلة الرئيسة، بينما يمتد مسيل آخر اسمه صمعة فيما يلي خرمة إلى أسفل، عند الانطباق الذي تكون بالجرف الرهيب لكل من مقعد كتفة وجلحة التلي، ثم تلتقي هذه المجاري الثلاثة في ملتقى يقع إلى البعيد أسفل قمة السلسلة، ومن هناك يمتد الوادي على انحدار سهل ماراً بقرية خرمة على جانبها الأيمن، ومنها إلى الجرف العظيم الذي يسمى موفار والذي فيما يليه يدخل إلى ضمد. ويقع الجزء الشمالي من كل من صمعة وخرمة داخل الأراضي السعودية من الحدود، غير أن جنوب صمعة يقع في أرض يمنية ويجري خط الأعمدة الحدودية إلى أسفل نتوء منحدر يفصل بين صمعة وخرمة حتى موقع الالتقاء الثلاثي.

يقود هذا النتوء إلى بقعة فوق سلسلة كتفة إلى مسافة فيما يلي موقعنا الحالي على مضيق نجد أم رزم، كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً حينما فرغت من أعمالنا هنا، وقررنا أن ذلك يكفي لهذا اليوم. ولم نكن نأمل الوصول إلى المعسكر قبل حلول الظلام. كما لم يطلع القمر هذه الليلة ليلقي بضوئه وذلك لانخفاض السحب. ثم أسرعنا، على هذا الأساس للعودة بأن نسلك الجزء الأكثر انحداراً من

المسيل الأعلى، ولم يكن ذلك سهلاً، لنصل قبل غروب الشمس. لقد كان كل شيء بعد ذلك عبارة عن محنة مع الظلام المطبق، إذ كنا نصارع الطريق، فنكون حيناً في بطنه وحيناً فوق سفوحه الخطرة وحيناً آخر على الجانبين. لقد تضاعفت الغابات الكثيفة مع الظلام الدامس، وأصبحنا نسير بلا هدى إلى الأمام. ويقودنا الطريق عند موقع الالتقاء الثلاثي للمسايل إلى قرية السودا الصغيرة التي تقع على رأس سلسلة بين مجرى كل من صمعة وخرمة. لقد كان الظلام شديداً للدرجة التي كنا بالكاد نستطيع رؤية الأكواخ التي تتألف منها القرية، غير أننا قمنا بتحية من قابلنا من السكان ثم استرحنا لفترة داخل فناء مسور بالأعواد، بينما انهمك الأهالي في إشعال الأعواد ليوصلونا إلى موقع المعسكر، ثم بدأت مسيرة حملة المشاعل - منظر متوهج تمنى المرء رؤيته في كل مكان - وسرنا معهم ربما مسافة ميل واحد فوق الممر الصخري الذي كان هو كل ما يمكن رؤيته. مررنا بعنزة قد وضعت مولودها في منتصف هذا الممر، وقد قام علي بن فرحان بالتقاطه وإحضاره معنا، معلّقاً بأنه يشفق عليه من أن تأكله ذئاب الغابة. وقد تبعت العنزة الأم موكبنا كأنها مقدرة شاكراً ومعتادة على مثل هذا الاهتمام.

لقد اكتشف علي، عند وصولنا إلى السودا أن قدمه تؤلمه وطلب المكوث هنا لقضاء الليلة. وكنت اعترض على مثل هذا القرار مما جعله يرضخ ويواصل السير. لقد ذهب هو ومعه حتروش تحت غطاء الظلام، بمجرد أن وصلنا إلى المعسكر، إلى قرية خرمة، لقضاء ليلتهما مع أقاربهم دون أن يكتثوا حتى لتناول العشاء معنا. كما لجأ إلى القرية كذلك كل من يحيى وشريف، برغم أن مسيرتهم في صحبة العفش كانت مريحة وقصيرة، ولم يعودا إلا في صباح اليوم التالي. لقد كانوا مجموعة بقلوب العصافير يتحاشون التعب وعدم الراحة كتحاشيهم للسلم

الزعاف. وقد شكا كلهم بالفعل من برودة المرتفعات، على الرغم من أنني لم أحسّ بتلك البرودة ما عدا فترة قصيرة؛ وذلك قبل وصولنا إلى السود، وحينما أضاف هطول المطر إلى مصاعب السير في الظلام، كما أمطرت السماء مرة أخرى ونحن في المعسكر ولكن لم يدم ذلك طويلاً.

لاحظت للأسف أن الأمير قد عاودته الحمى بمجرد وصولنا، وقد رفض تناول العشاء ومع ذلك فقد أصرَّ على بقائه معنا في المعسكر، وهو موشح بالبطاطين تحت وقاية أشجار التين التي تسور الموقع. ثم أعلنت لهم، باعتبار كل هذه الأحداث، وتقديراً للجهد الكبير الذي بذله كل من كان قد رافقني في أعمالي في هذه المرتفعات، أن يوم الغد سيكون عطلة عامة لاسترداد العافية. كان هذا اليوم هو اليوم قبل الأخير لعام ١٩٣٦م، وهو العام الذي برهن على أنه أكثر أعوام استكشافاتي نجاحاً وأكثرها أهمية في الجزيرة العربية، وقد كنت أيضاً أحتاج لبعض الراحة. لقد تجوَّلت أثناء يوم العطلة هذا ومعى بنديقتي والبوصلة لمراجعة أخيرة حديثة للنتائج. وقد كان هنالك الكثير من الطيور، ليس من بينها ما يثير الاهتمام غير طائر الشادي الأصفر الذي كنا نعرفه من قبل في اليمن فقط. وتحصلت كذلك على طائر السمينة وعلى طائر الجشنة الشائع. وكان أكثر الطيور انتشاراً في هذه المناطق هي طيور السوادية والغداف إلا أنني لم ألاحظ طائري: الحجل الذي كنت أتوقعه في هذه الجبال.

يقع معسكرنا عند منتصف الطريق بين القرية وفم ممر موفار، وهو مجرى صخري يمتد بين جلاميد عالية وبه قلعة قديمة مدمرة، ربما كانت مخفراً متقدماً للإدريسي، واقفة على جانبه الأيمن وكانت تعرف باسم فثة، ولم أتمكن من الحصول على معلومات عن تاريخها. وكانت قرينا السود وخرمة، وهما بالتأكيد

وبالاعتراف يقعان داخل أراضٍ سعودية، إلا أن سكانهما كانوا من بلاد حنبه والمعروف عنهم أنهم مواطنون يمنيون. ويقوم العنصران السعودي واليمني، بزراعة الحقل، كما هو الحال أيضاً في وادي صمعة إلى أعلى وعلى سفوح كثفة حيث الزراعة المشتركة بين كل من حنبه وخولي هي الرائجة. لم تكن النسوة في كل من خرمة والسودة بالجميلات وكان يبدو عليهن الإرهاق والتقدم في العمر برغم أن بعضهن لم تكن طاعنات في السن، لقد كانت كل هذه المنطقة غنية بالأبقار وهي حيوانات ذات سنام ومتوسطة الحجم، كما يوجد أيضاً الكثير من الضأن والماعز، وكان لون الضأن أبيض أو أرقط وكان لون الماعز بنياً أو أحمر.

ثم انتهت عطلة اليوم واستيقظ الجميع مبكراً وتبدو عليهم روح نشطة، وذلك لبداية عمل آخر وأصعب يتعلق بمسوحات الحدود، والتي بدأت عند الساعة السابعة صباحاً لهذا اليوم ولم نعد منها إلى المعسكر إلا عند الساعة الثامنة مساءً. لم تكن هنالك حاجة للعودة للعمود الحدودي نجد أم رزم، وذلك لأنني كنت قد تمكنت عنده من رؤية وتثبيت الموقع التالي على قلة الضيور. ويقع طريقنا، بناءً على هذا أولاً على وادي خرمة الذي ظهر الآن في ضوء النهار ويسهل السير عليه مقارنة بمعاناتنا فوق طريق صمعة. وتقع قرية حنبه التابعة إلى قبيلة توليقة (أيضاً داخل أراضٍ سعودية وقريبة جداً من خط الحدود) في مواجهة السودة على نتوء توليقة على بعد ١٠٠ قدم منذ مغادرتنا للمعسكر، بينما وصلنا بعد نصف ساعة أخرى ترافقها زيادة للانحدار إلى البرك الصخرية التي تسمى جو المين وتقع داخل خليج ضيق صخري في الوادي على ارتفاع ٦٥٠٠ قدم فوق سطح البحر. ثم صعدنا إلى ٤٠٠ قدم، خارج الوادي، على سفح منحدر على جانبه الأيسر، حينما أدركتنا الشمس من وراء الكتف الأيسر لقلعة دقاق على السلسلة الرئيسة.

كان الطقس بارداً، برغم حركة سيرنا العنيفة، داخل هذا الوادي المظلل، وتوقفنا مدة عشر دقائق للتدفئة قليلاً، ثم وصلنا بعد عشرين دقيقة لاحقة إلى السلسلة الرئيسة، حيث كتف بارز في قوة ناحية الغرب من قلة ضيور وعمودها الحدودي (رقم ٦١) عند ارتفاع ٧٣٠٠ قدم.

كان الجزء الأخير من الصعود، من الموقع الذي افترقنا فيه عن المسيل، صعباً يمتد فوق ممر أقل ما يوصف به أنه ممشى للماعز. وكان مع ذلك طريقاً سريعاً، ووجدنا عند قمة الصخرة قرية الضيور الصغيرة التي كانت في يوم ما محطة استراحة في الطريق إلى المركز الإداري اليمني الذي يسمى قبة. لقد استرحنا هنا مدة نستمتع بالمنظر الخالي من السحب، وتناول طعام إفطار بسيط ولكنه كان وافراً مكوناً من الشاي والخبز المحلي، كان هذا هو يوم سوق قبة، سوق الخميس، غير أنني لا أستطيع القول إنه كانت هنالك حركة كثيرة فيه على هذا الفرع من الطريق، والذي يتصل مع الطريق الرئيس في وادي خرمة، فيما يلي مضيق نجد أم رخم وهي رأس المسيل، بينما ينحدر رافد يسمى قرأً من بين كل من قلة الدقاق وضهرة (رزمة) الكتفة ليتصل مع جانبه الأيسر عند منتصف الطريق إلى نتوء خرمة.

لقد أصبحت قبة الآن أكثر قليلاً من مجرد سوق، وقد كانت مكاناً ذا أهمية في تاريخ العصور الوسطى لليمن. كما ورد في مؤلفات عمارة وغيره من الكتاب العرب المهتمين بالعصور القديمة. إلى جانب ذلك فهي مركز إداري ثانوي، يقال إنه يمكن الوصول إليها من خرمة خلال مسيرة يوم واحد، ومنها إلى صعدة خلال يومين. يتبادل الطريق موقعه فوق قمم السلسلة من حافتها الشرقية وحافتها الغربية، إلا أنه يقع بشكل أساسي في فجوة بين سلسلتي شعثمي وعقيبة ثم

يخترق هذا الجانب من المجرى تلك الغابة المحترقة التي ورد ذكرها، والتي يعزى تدميرها إلى إشعال متعمد للنار -أصاب النمو التحتي- بواسطة البدو الذين يرغبون في تحسين مراعيهم دون أي اعتبار للنتائج التي يمكن أن تقع.

لقد اغتبننا مدة نصف الساعة التي كنا فيها على عرن ضيور لالتقاط المنظر الواسع، الذي كان قناع السحب يمر من فوقه. ونستطيع رؤية القمم الثلاث، لأول مرة إلى البعيد ناحية الجنوب، لكل من رازح وحرم وناضر، وكلها شامخة كأنها حصون من فوق المرتفعات وتطل على سفوح تلال تهامة وسهلها. كما برزت قمم كل من العر وعياش، قريباً منها وناحية اليمين من خط توضعها، وتقع تلال جلحة بيننا وبينهما وهما بارزتان على زاوية قائمة عند كتف كتفة، بينما امتدت سلسلة بطين إلى البعيد ناحية الشمال من العر وخلف عياش، بما في ذلك قراه العديدة، من بينها العاصمة مسلان، وهي مركز إداري يمني.

كان المنظر بعد ذلك مألوفاً كما كان خلال الأيام القليلة الماضية، غير أن السحاب قد استقر الآن فوق فيفاء. كان معظم المنظر، حينما وصلنا إلى العمود الحدودي -الذي لم يكن سوى مجموعة من ركام حجارة معظمها قد نقلته السيول من موقعه- على قلة الضيور (رقم ٦١) على ارتفاع ٧٦٥٠ قدماً، قد لفها الضباب الصاعد ما عدا ناحية الغرب والشمال. وقد رأيت بعض الأجسام المنقطعة في الجزء الشمالي لجرف الهضبة ومن خلفها لاحظت قمة مستديرة، والتي أغرتني بأن أعرفها بأنها شاث بالقرب من ظهران. لم يكن لدينا إلا مواصلة السير، مؤملين تغييراً في الطقس وعليه تتبعنا حافة السلسلة، هابطين حوالي ٢٠٠ قدم إلى مضيق يعلم واحداً من رؤوس وادي خرمة الذي عنده كنت أستطيع رؤية معسكرنا الآن. كان هذا المضيق هو نقطة حدودية بلا عمود، ويمكن للملائمة أن

نرمز إليها بأنها ٦١ أ. ويقع فيما يليها وعلى المستوى نفسه العمود الحدودي رقم ٦٢ الذي يسمى نجد أو رخم، وهو نتوء ليس بذئ مغزى، ويعلم رأساً آخر لمسيل خرمة والذي عن طريقه يدخل طريق قتبة الرئيس. كان الموقعان الأخيران متقاربين من بعضهما، بينما من عند الثانية منهما وعبر صعود طويل خلال غابات كثيفة وصلنا، في مدى نصف الساعة، إلى عمود حدودي فوق صرمة تسمى قلة الدقاق على ارتفاع ٧٠٠٠ قدم (رقم ٦٣).

لقد أحاط بنا الضباب تماماً ولا نكاد نرى ما مداه خمسون ياردة في كل الاتجاهات. ثم واصلنا سيرنا فوق السلسلة ذات الجوانب الشديدة الانحدار والحافات التي في حدة السكين، فوق ألواح شستية موضوعة طولياً في زوايا قائمة، دون وجود حتى طائر واحد يكسر من ملل هذه الأرض المرتفعة المغلفة بالضباب. ثم خرجنا في هذا الجزء من طريق قتبة الذي استدار إلى البعيد من الأرض الصعبة ليتبع حافة وادي حنبة، غير أننا سرعان ما عدنا إليه ونحن نقرب من العمود الحدودي (رقم ٦٤) المسمى رزمة الكتفة (أو زهرات الكتفة). كان هذا بالتأكيد هو آخر عمود حدودي فوق الأراضي المرتفعة، وكان أيضاً أعلى عمود في كل المنطقة الحدودية، إذ يبلغ ارتفاعه ٨١٥٠ قدماً. كان من المناسب لنا أيضاً أن نتوج آخر أيام العام المحتضر بإنجاز يصوره وصولنا إلى القمة الحقيقية للحدود. لقد برز الظهر العريض لكتفة من هذا الموقع وناحية الجنوب من أمامنا وحتى قمته على النهاية البعيدة التي كنت قد قدرتها على ارتفاع ٨٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وكانت تقع كلها، وهي مغطاة بأشجار العرعر الكثيفة، وتندلق على السفوح إلى مجرى كل من حنبة وصمعة، داخل أراض يمنية، وتمتد الحدود بين الدولتين أسفل النتوء الحاد الشديد الانحدار الذي يفصل بين مجرى كل من خرمة وصمعة.

كان ما يطلق عليه اسم العمود الحدودي ذا مغزى شكلي بنسبة معاكسة لأهمية الموقع كنقطة تحول للشريط، ويتكون العمود - حقيقة - من قطع صغيرة لا يتجاوز عددها الثلاث من الكوارتز ترتب مع بعضها فوق مربع طبيعي من شست قاعدي.

لم يكن في مقدورنا العثور عليه لولا أن حسن حسين، كان أحد المندوبين - فقد كان الآخر راعياً يتبع قبيلة بنو خُولي، ويمثل المندوبين اليمينيين المسؤولين عن وضعها في مكانها هذا. وقد أوضح حسين، وبإحساس من الظلم، أن كلاً من علي بن فرحان وشخص يدعى سعيداً من قبيلة الزرائق - وكان ضابطاً في الجيش اليمني - واللذين كان عليهما على الأقل زيارة الموقع الحدودي ممثلين لحكومتها، للتأكد من أن كل عمود حدودي قد تم وضعه تماماً وفي دقة في موقعه، إلا أنهما فضلاً شرب القهوة في المعسكر في حرمة، وأرسلا بدلاً عنهما مبعوثيهما البدوين اللذين قاما بصعود التل وقمته لتحديد الخط. فلا غرابة إذاً في أنهما كانا يتعجلان الانتهاء من هذه المهمة ليسرعا في العودة تحاشياً لهذه الارتفاعات العدائية. كان عمود كتفة الحدودي أيضاً موقع لقاء ثلاثي بين كل من آل يحيى من الجانب السعودي، وكل من حنبة وبني خولي من الجانب اليمني.

كان الضباب قد حجب كل المنظر، كما هبَّ نسيم لطيف بارد دافعاً الرطوبة في وجوهنا ونحن جلوس هناك. لم يكن هنالك ما يمكن رؤيته غير ثلاث قطع من حجر الكوارتز وشجرة عرعر تبرز من حين لآخر كالشبح عبر الضباب، لم تكن لنا حاجة بالمكوث أكثر من ذلك في هذا الموقع. كانت الساعة ١,٣٠ ظهراً عندما بدأنا الهبوط أسفل السفح الشديد الانحدار والكثيف الأشجار متجهين نحو بداية نتوء حرمة الحاد، وقد كان هذا أصعب جزء من التسلق اجتزناه خلال كل

هذه الرحلة . لقد كان الضباب يضرب وجوهنا كأنه رذاذ المطر ، وكنا لا نستطيع رؤية شيء غير الأرض من تحت أقدامنا وغير جنبه أو اثنتين كاننا بالقرب منا . لقد كان من الصعب علينا حتى أن نرى بعضنا ، وكان هنالك الكثير من الصياح لبعضنا مع بعض دون أن نرى أشخاصنا ، وكنا نتلمس طريقنا فوق صخور لزجة وعشب مبتل وكنا نواجه من حين لآخر بتواء شديد الانحدار ، ونعود متسلقين إلى الخلف مرة أخرى للبحث عن طريق بديل يقود إلى أسفل . وقد استغرق هبوطنا تحت هذه الظروف إلى عمق ٤٠٠ قدم حوالي ١,٥ ساعة ، إلى حيث يوجد رف أو عرن للصخرة يحمل مجموعة الحجارة الكورتزية الحقيرة التي أشار إليها حسن حسين بابتهاج بأنها العمود الحدودي الذي يسمى رزمة سيلام (رقم ٦٥) .

يعزي الوصول إلى هذا العمود إلى حسن حسين تحت كل هذه الظروف ، إذ إنه ملم بخصائص بلاده بصورة جيدة . لقد كنا على ارتفاع ٧٧٥٠ قدماً فوق سطح البحر ولم ننته بعد من الجبال ، ذلك لأننا كنا على مشارف هاوية عميقة تكون رأس بشران وهو مسيل يتصل مع جنوب صمعة قليلاً أعلى من موقع التقاء بشران مع خرمة . وكان علينا الآن أن نتحسس طريقنا أسفل الجانب الشديد الانحدار لهذا المسيل ، وكثيراً ما وجدنا أن السير صار أصعب بكثير مما سبق ، وذلك بتكرار ظهور التوائ الحادة التي كانت تملئ علينا تحويل المسار والاتجاه . كما لا يزال الضباب يطوقنا في شراسة ، ولكن بفضل المثابرة والقيادة الجيدة لحسن حسين فقد قطعنا مسافة الـ (٣٥٠) قدماً الأخيرة إلى العمود الحدودي واسمه نجد مخطاف (رقم ٦٦) ، عند ارتفاع ٧٤٠٠ قدم ، كان العمود عبارة عن مجموعة من كومة من حجارة بائسة ، إلا أنها كانت قائمة بما يشبه الكومة المبنية .

كان اتجاهنا العام هو ناحية الغرب منذ أن كنا في رزمة كثفة وقد استمر بنا المسير عليه على امتداد الطريق إلى الخلف، وأصبحت أسوأ مواقع الهبوط من خلفنا الآن، على الرغم من أن مسيرتنا لا تزال صعبة فوق التواء الحاد كالسكين الصخري، الذي يفصل بين مسيلي كل من قر وبشران. ثم وصلنا عند ارتفاع ٧٢٠٠ قدم على هذا التواء إلى العمود الحدودي المسمى حرف شيمة (رقم ٦٧) في وسط غابات كثيفة غطت العرن. ثم بدأنا نلتقط لمحات من العلامات الأرضية المختلفة من فوق من أسفل غطاء من السحب، وواصلنا مسيرتنا في يسر أكثر عبر أرض أشجار غير جذابة، وكنا نهبط باستمرار حتى وصلنا بعد مسيرة ساعة من آخر عمود حدودي إلى العمود الحدودي الذي يسمى نجد فاسح (رقم ٦٨) على ارتفاع نقص ٩٠٠ قدم ووصل إلى ٦٣٠٠ قدم. بدأ لنا هذا العمود وكأنه كان ذات يوم بناءً، إلا أن قطع الصخر الكبيرة التي كان قد شيد منها قد انتشرت على الأرض. ويقود طريق الماعز من هنا إلى أسفل في يسر إلى حيث العلامة الحدودية التالية بجوار الحدبة الشامخة التي تسمى قلة سهمي (رقم ٦٩) عند ارتفاع ٦٠٥٠ قدماً، وواصلنا على المستوى نفسه إلى الأمام حيث كومة حجارة قبلية قديمة، وهي نقطة على الحدود لا يعترف بها كعلامة رسمية رقم ٦٩ أ. لقد كانت نصباً تذكاريّاً أحسن حالاً من كومة الحجارة الرسمية غير المرئية، وقد وقفت في بروز في الإطار العام.

كانت الساعة الآن السابعة مساءً وقد انتشر الظلام. ثم توجهنا مباشرة ناحية المعسكر. تاركين ما تبقى من هذه الجبهة الحدودية إلى الغد. لقد أرسلنا صيحات إلى رفاقنا في المعسكر لإرسال مصباح، بعد أن عبرنا عقبات على امتداد الصخور، وجلسنا في انتظار وصول المصباح نراقب تقدمه الصعب والمطمئن إلى

أعلى التل حيث كنا. كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساءً حينما وصلنا إلى المعسكر بمساعدة المصباح وكنت سعيداً حينما علمت بأن العشاء كان جاهزاً. لقد استغرق العمل -مع توقفات عند النقاط المختلفة- ست ساعات ونصف الساعة لنصعد ارتفاع ٣٠٠٠ قدم وقد كانت هذه هي أسوأ تجاربي في الجبال العربية. لقد شكّا حسن حسين دليلنا الجذاب الكفاء، بالمناسبة، من إرهاصات الحمى، وذلك حينما وصلنا إلى العمود الحدودي في كتفة وقد قام بإشعال النار لتدفئة جسمه في وسط هذا الضباب الرطب، ثم جاهد بعد ذلك بشجاعة على امتداد ذلك السطح المخيف، وكان يقودنا في دقة ممتازة من عمود حدودي إلى الآخر، حتى وصلنا إلى كومة حجارة البدوين عند سهمي وقرر حينها التوقف نهاية لعمل اليوم. وكنت لا أدري إن كان إحساسه بالحمى ذلك يعزى للبرودة الفجائية أثناء الليل، أم مجرد الإحساس بالراحة بعد الجهد، غير أنه إنهار في اللحظة والتو، كان يلتوي في ألم وكان غير قادر على الحركة.

صرفنا ناحية قرية مجاورة لعلها تويلقة لأجل المساعدة، وتركنا أحد الرجال من حاشية حتروش ليقوم بالحراسة عنده حتى تصلنا المساعدة، بينما واصلنا نحن مسيرتنا. لقد كنت منزعجاً جداً حينما لم يصل حسن إلى المعسكر، إلا أنه قد تبين لنا أنه تم نقله إلى القرية، التي كانت أقرب كثيراً إليه من معسكرنا، وقد نام بها وذهبت الحمى عنه وظهر بعد ذلك في الصباح وهو في أحسن صحة.

لقد كنا نعمل مدة ثلاث عشرة ساعة هذا اليوم، وأحس الآن بالتعب. كما أنني لم التزم برغبتي في الجلوس حول الراديو للاستماع لإذاعة القدس، وهي تنقل مراسيم احتفالات رأس السنة. لقد كان استقبال الراديو ضعيفاً، على أي حال، خلال المساء، ولذا قررت أن أجلس إلى منتصف الليل بالتوقيت المحلي

الذي كان متقدماً على توقيت فلسطين ساعة كاملة، وخرجت ومعى حسن صباح اليوم التالي لتكملة الجزء غير المكتمل من الحدود حتى هذا الموقع . لم يكن هذا الجزء ذا أهمية كبيرة ويمكن أن نغطيه في وقت قصير . لقد استرجعنا خطواتنا إلى حيث الموقع الذي انتهينا عنده في المساء ، عند كومة حجارة البدوين في سهمي التي بالقرب منها دهشت لوجود بقايا لقرية قديمة مهجورة على الطريق الذي يؤدي إلى نجد فاسح وما يليه ، وكان العمود الحدودي التالي (رقم ٧٥) ويسمى جدار العليا يقع على مسافة ٣٥٠ قدماً إلى أسفل السفح ناحية مسيل صمعة ، وقد كان -لدهشتي- نصباً تذكاريّاً مهيباً.

كما واصلت مجموعة من القروء المتشاجرة ، داخل الغابات ومن حولنا ، صياحها بإلحاح ، غير أنني استطعت رؤية واحد أو اثنين منها هنا وهناك . لقد كان حولها ما يكفي من الضباب في المستويات العليا التي كانت تقوم بزيارتها مراراً وتكراراً ، وقد نزلت الآن للبحث عن الطعام بالرغم من قربها للعديد من القرى الصغيرة . كان العمود الحدودي التالي (رقم ٧١) هو جدار الأسفل . عند ارتفاع ٥٣٠٠ قدم وهو كومة من حجارة فوق صخرة ارتفاعها ٢٠٠ قدم تطل على موقع التقاء مجري كل من بشران وصمعة .

ثم يستمر الشريط من هنا على امتداد الجانب الأيمن للمسيل المشترك (صمعة) على ارتفاع ١٠٠ قدم فوق بطنه إلى حيث العمود الحدودي (رقم ٧٢) واسمه نجد غتيت عند ارتفاع ٥٢٠٠ قدم ، أسفل قرية خولي الكبيرة التابعة للوح الشرقي على ارتفاع ٥٠٠ قدم على جانب جبل جلحة ، الذي يكون الجانب الأيسر لصمعة وجانب ممر موفار ويستمر بعد التقائه مع وادي خرمة . لقد جاء إلى هنا بعض الزوار من قرية صمعة الصغيرة ، أعلى الوادي ، بما فيهم شرطي بزيه الرسمي يتبع

للإدارة اليمنية، وذلك لمعرفة ماذا كنا نفعل في الحدود، لقد كانوا ودودين جداً ولربما كانت زيارتهم فقط بدافع الفضول.

استمرّ خط الحدود على امتداد الجانب الأيمن لصمعة، إلى موقع التقائه مع خرمة حوالي ٢٠٠ ياردة إلى أسفل (٧٢ ج)، وهكذا إلى أسفل أكثر لمجرى متحد لمسافة ٣٠٠ يارد حيث توجد صخرة كبيرة في وسط الوادي وقليلًا فوق مدخل ممر موفار على ارتفاع ٤٨٠٠ قدم. وكانت هذه هي نقطة الحدود الفعلية، ولكن، بما أن الصخرة قد تغطى عليها مياه السيول، فقد تم وضع العمود الحدودي لرزمة التفة (رقم ٧٣) على الجانب الأيسر وتم وضع كومة حجارة صغيرة أخرى على الجانب الأيمن لتحديد الخط الصحيح. كانت الصخرة نفسها هي الالتقاء الثلاثي القبلي بين خولي على الجانب اليمني، وكل من يحيوي وزيداني على الجانب السعودي. كانت جدران الممر نفسه من جرانيت وردي اللون تتخلله عروق سوداء من شست كالألواح، وتترابط قليلاً إلى أسفل الحدود بحاجز طبيعي من الصخر بانحدار ثلاثين قدماً. لم يكن هنالك ماء يعبر من فوقه في هذا الوقت، غير أنه كانت توجد برك في بطن المجرى عند قدمه والتي منها يسحب القرويون المحليون الماء. يطلق عليها اسم أم خرق وعلى أحد جانبي الحاجز تم وضع ممسك خشبي ليساعد على الوصول إليها.

يصعد خط الحدود من هذا الموقع إلى أعلى جانب جلحة في اتجاه الجنوب الغربي ناحية ممر نجد أم خرمة، الذي يفصل بين أرض خولي وأرض زيداني. وقد كان بالفعل صعوداً صعباً فوق السفح الشديد الانحدار إلى أول الأعمدة الحدودية، الذي كان عبارة عن قطع صغيرة من صخر تم وضعها في فجوة بين جلمودين ضخمين من جرانيت رمادي، يطلق على هذا الموقع رزمة المخلفه (رقم ٧٤)

وترتفع إلى ٥٠٠ قدم فوق الوادي وإلى ٥٣٠٠ قدم فوق سطح البحر. ثم وصلنا بعد تسلُّق حاد آخر على السفح إلى العمود الحدودي (رقم ٧٥) خزانات الحيجة على حافة شلال بلا ماء يسقط من نتوء صخري بارتفاع ٥٠ قدماً.

وكان ارتفاعنا هنا حوالي ٥٧٠٠ قدم فوق سطح البحر، ثم واصلنا التسلق لارتفاع ٣٠٠ قدم أخرى إلى كومة حجارة صغيرة أخرى (رقم ٧٦) تسمى أضرا السيل، تقع على طريق جيد جداً بين قرى خولي على يسارنا ومستوطنة زيداني الكبيرة التابعة لشحدان، ثم واصلنا الصعود أكثر فوق طريق أسهل بعض الشيء لنصل إلى الموقع الرئيس لنجد أم خرمة، وهو ممر يسيطر على المدخل إلى منطقة السفوح التلية ووادي ضمد من مرتفعات بني مالك، ويقف العمود الحدودي بجانب الطريق على ارتفاع ٦٣٠٠ قدم فوق سطح البحر، تحت ظل كتف مهيب لصخرة ضخمة تقع على جانبه الأيسر. وكانت هذه الصخرة هي موقع العمود الحدودي (رقم ٧٧) والتي تهينى نهاية مناسبة لهذا الفصل. وسترد قصة الحدود داخل التلال السفحية في الفصل التالي.